جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي

دراسات أدبية

أدب عربي قديم

رقم : ق / 2019/11

إعداد الطالبتين :

رندة عصادي إلهام عطيل

يوم :2019/07/07

بلاغة الاستهلال في ديوان الرصافي البلنسي

لجنة المناقشة:

سامية بوعجاجة	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
نصيرة زوزو	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا و مقررا
عبد الحميد جودي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

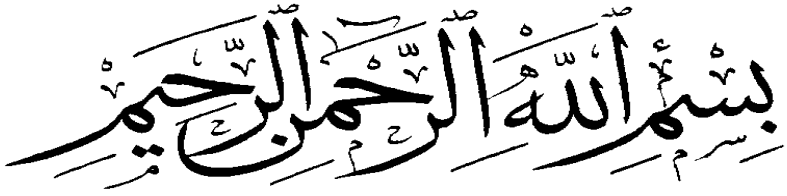

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ
فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾

سورة النمل الآية {19}

شـــكـــر وعـــــرفـــــــان

نقدم كلمة شكر وامتنان إلى من أوجدنا من عدم، وربانا بالنعم وعلمنا ما لم نكن نعلم، نحمده سبحانه، ونشكر فضله وامتنانه

ثم نقدم خالص شكرنا وعرفانا لأستاذتنا الكريمة "زوزو نصيرة" التي أشرفت علينا، وغمرتنا بفيض علمها، وبذل وقتها في متابعة هذا البحث، فلها منا خالص الشكر، ومن الله جزيل الثواب.

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم الآداب و اللغة العربية

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

مقدمة

مقدمـــة

الحمد لله تعالى المتفرد بالجلال والكمال، الذي جعل العلم دليلا موصولا إلى معرفته، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

انصب اهتمام جل الدارسين والباحثين في الدراسات النقدية بأدبية النص، فكان الشعر و الكلام الجميل، الذي يحمل في طياته معنى وجرسا موسيقيا يأسر كيان القارئ، من بين ما كان يجذبه ويلفت انتباهه تلك الاستهلالات والافتتاحات الإبداعية، التي توضح مدى إمكانيته في التحكم بأدوات اللغة وامتثالها لأفكار ذات ألفاظ ومعاني، وتبين وتوضح الهدف. والجوهر الشعري مع مراعاة التحولات والتغيرات التي تطرأ على النص الشعري من رموز وإيقاعات وصور، وألفاظ ومعاني، وما يمكن أن تقدمه هذه التحولات على مستوى الفضاء الشعري العام للقصيدة.

وتبدى ذلك من خلال إظهار فعالية وأداء جمالي في تشكيل العمل، وفق آليات من ناحية، ومن ناحية أخرى الكشف عن سيمياء التعبير، حين ينهي النص الأدبي استهلال مشروعه في البناء والأداء.

ولهذا ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا بلاغة الاستهلال في شعر الرصافي البلنسي، والاستهلال مرحلة في الخطاب على مدى من الأهمية، ولذا كان الشعراء مهتمين أشد الاهتمام بالبداية والافتتاح الحسن والجيد للقصائد.

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى أهميته الكبيرة، وخاصة في مجال الدراسات الأدبية، إضافة إلى رغبة ملحة متمثلة في دراستنا توظيف الاستهلال الشعري عند الرصافي البلنسي، الذي يعد أولى اهتمام الناظم القصيدة بوصفه المفتتح الأول للنص الشعري، والصلة التي تربط وتجمع بين باقي عناصر النص مع معرفة أبرز وظائفه التي يتميز بها، إضافة إلى رغبتنا في الكشف عن طرائق اشتغال الاستهلال عند الشاعر الأندلسي الرصافي البلنسي.

وقبل الخوض في غمار هذا الموضوع كان لزاما علينا الإجابة عن إشكالات تطرح نفسها، وقد كان لطبيعة الموضوع إسهاما في صياغتها:

- كيف بنى الرصافي البلنسي استهلالات قصائده الشعرية؟
- وهل تختلف استهلالاته للنصوص الشعرية حسب اختلاف عناوينها؟
- وفيما تكمن هذه الجماليات الفنية التي تزخر بها وتحتويها هذه الاستهلالات الشعرية؟

واقتضت طبيعة البحث تقسيم مادته العلمية، وفق خطة منهجية متمثلة في مقدمة فصلين وخاتمة.

أما الفصل الأول الموسوم بـ: مفهوم الاستهلال، فقد تطرقنا فيه إلى مفهوم الاستهلال الشعري لغة واصطلاحا، ثم الاستهلال الشعري بين القديم والحديث وتطرقنا فيه إلى الاستهلال الشعري وتطوره عبر العصور والتغير الذي حدث في هذا العنصر البنائي للقصيدة العربية، كما تعرضنا في هذا الفصل إلى وظيفة الاستهلال التي يتميز بها.

في حين كان الفصل الثاني تطبيقيا بحثنا فيه على استهلالات قصائد الرصافي البلنسي، والذي ننشده من خلال دراستنا لهذه الاستهلالات كشف الجماليات الفنية الإبداعية .

وأنهينا البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج المتوصل إليها بعد هذه الرحلة البعثية.

وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج الوصفي الذي رأيناه أنسب المناهج النقدية لمثل هذه الدراسة، إضافة إلى استعانتنا بالمنهج التاريخي في بعض عناصر البحث.

أما مكتبة البحث، فقد استفدنا من مجموعة من المصادر والمراجع لعل أهمها: كتاب الاستهلال فن البدايات لياسين نصير، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، وكتاب العنوان والاستهلال في موافق النفري لعامر جميل شامي الراشدي، إضافة إلى الرسالة المكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد للبندري معيض عبد الكريم الشيخ تحت عنوان الاستهلال في شعر غازي مقارنة نسقية تحليلية.

ولا يخلو كل بحث من الصعوبات، فكثرة المادة العلمية في هذا الموضوع أفقدنا التحكم فيها، إلا أننا حاولنا تجاوز هذه العقبات قدر الإمكان، ويبقى الأمل في إضفاء لمسة على هذا الموضوع والكشف عن بعض أغواره.

وبعد أن طوينا صفحات هذا البحث، كان لزاما أن لا ننسى شكر أستاذتنا الفاضلة "**زوزو نصيرة**" التي تفضلت علينا بإشرافها، وكانت لنا نعم الأستاذة الموجهة باقتراحاتها ونقدها البناء، وككل طالب تمر عليه سحابة الخوف واليأس، إلا أنها كانت توحي لنا بروح الثقة والتفاؤل والجدية والجد في العمل.

فتنبعث فينا قوة الإرادة، كما نشكر صبرها معنا، ودفعنا لاستكمال هذا البحث ووضعه بين أيديكم فالشكر موصول إليها، وإلى كل من دعمنا وكان معنا طول مسيرتنا البحثية.

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وبه نستعين.

الفصل الأول:

ماهـــية الاستهـــلال

المبحث الأول: مفهوم الاستهلال

1. المفهوم اللغوي
2. المفهوم الاصطلاحي

المبحث الثاني: الاستهلال الشعري بين القديم والحديث

المبحث الثالث: وظيفة الاستهلال الشعري

إن الحديث عن الاستهلال الشعري، أخذ اهتماما كبيرا لدى النقاد والدارسين؛ كونه العتبة الأولى للنص الشعري، والعنصر الرابط والجامع بين أجزاء النص ومكوناته، إنه من أهم هذه العناصر باعتباره بدأ الكلام وفاتحة النص، كما أنه يعد بناءا فنيا متكاملا. إلا أن الحديث عن هذا العنصر–الاستهلال الشعري– وعلاقته بالقصيدة مهم جدا، حيث حظيت فواتح القصائد الشعرية بأحاديث متباينة ومنسجمة مع بعضها البعض، تحمل في طياتها قيمة فنية وفكرية تخضع لمتغيرات على حسب المراحل والظروف المحيطة بالنص الشعري، وتتنوع بتنوع الأغراض الشعرية للقصيدة، ومن مبدع إلى آخر، ومن نوع أدبي إلى نوع آخر.

فالاستهلال الشعري هو طريقة التفكير الأساس في بناء الكلمة المفتاحية، فهو بمثابة جسر بين السكون والحركة، فينطلق من بوتقة الصمت والثبات إلى عالم الحركة والنشاط وإلى محتوى القصيدة وعنوانها وخاتمتها لفتح المجال لدى القارئ بالتحليل والتفسير، والشرح والتأويل، وبذلك تنشأ بين أيدينا نصوص جديدة متنوعة ومختلفة عن بعضها البعض نتيجة تعدد القراءات.

1)المبحث الأول: مفهوم الاستهلال

1. المفهوم اللغوي:

من أولى الاهتمامات التي يعمل عليها الناظم لحظة نظمه للقصيدة هي تلك الاستهلالات الشعرية التي يفتتح بها نصه الشعري، وذلك لكونه المكون الأساس للنص، والخيط الرابط بين أجزاء الموضوعات الواردة في النص غاية منه للوصول إلى الهدف المراد تحقيقه، والذي يبتغيه الشاعر.

جاء في لسان العرب ضمن مادة "هلّل":«**هلّ السحاب بالمطر، وهلّ المطر هلّا وانهلّ بالمطر انهلالا واستهل: وهو شدة انصبابه (...) والهلال الدفعة منه، وقيل هو أول ما يصيبك منه، (...) وقال غيره: أهلّ السحاب إذا قطر قطرا له صوت، (...)**

وانهّلت السماء إذا صبت، واستهلت، إذا ارتفع صوت وقعها، (...) واستهل الصبي بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة، وكل شيء ارتفع صوته فقد استهل».[1]

وتضمن المعجم الوسيط نفس المفهوم السابق ذكره، لمادة "هلّل"، ويقال: «**انهّل الدمع: تساقط، وانهلت السماء، نزل مطرها، واستهل الصبي: رفع صوته بالبكاء وصاح عند الولادة واستهللنا الشهر: ابتدأناه**».[2]

من خلال المفهوم اللغوي لمادة (هّل) و(هلّل)، نلحظ اتفاق المعاجم على أن هذه المادة تدل على البداية والابتداء، مثلها مثل مرادفاتها (المطلع، والابتداء، والافتتاح، والمقدمة).

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم، فالاستهلال المتمثل في فواتح السور، والآيات القرآنية يكشف عن جمالية إبداعية وبلاغة أدبية شعرية استهلالية، وذلك في مثل قوله تعالى في سورة الفاتحة والتي هي فاتحة المصحف الشريف، وفي الآن ذاته هي مطلع القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [3].

فقد جاءت هذه السورة ملمة لمقاصد القرآن الكريم، وهذا ما أدى إلى جمع مقاصد الاستهلال وبيان براعته الفنية والجمالية.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، مادة هلل، تح/ عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 4688- 4689.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مادة "هلل"، دار النشر المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، (د.ط)، (د.ت)، ص 992.

[3] **سورة الفاتحة**، الآية1- 5.

كما جاء في افتتاحية سورة الكهف التي يقول سبحانه وتعالى فيها: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤﴾ [1]

كذلك جاءت افتتاحية سورة محمد التي يقول سبحانه وتعالى فيها: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ .[2]

هذه السورة وغيرها من السور قامت بتجسيد براعة الاستهلال في القرآن الكريم.

2. المفهوم الاصطلاحي:

إن التنوع الذي تميزت به المعاجم والقواميس العربية، من تعاريف لمصطلح "الاستهلال" سواء تمثّل ذلك من ناحية استخدام اللفظ في حد ذاته أو من ناحية ما يرادفه من مصطلحات تسلك أو تنصب في المعنى عينه، ألزم النقاد والباحثين والدارسين ذكر تعريفات اصطلاحية متنوعة ومختلفة عن بعضها البعض، ومن بين هذه التعريفات نجد:

ما يحدده أرسطو في "فن الخطابة" بقوله: «**الاستهلال هو إذن بدء الكلام، ويناظره في الشعر: المطلع؛ وفي العزف على الناي: الافتتاحية. فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو، والافتتاحية شبيهة بالاستهلال في النوع البرهاني ذلك أن عازفو الناي إذا عزفوا لحنا جميلا، وضعوه في افتتاح المعزوفة كأنه لحنها**».[3]

جاء الاستهلال من خلال هذا التعريف بمعنى بداية الكلام، حيث حدد المطلع في الشعر والافتتاحية بالعزف على الناي، والبداية عند أرسطو هي نقطة الانطلاق الأولى

[1] **سورة الكهف**، الآية 1– 4.

[2] **سورة محمد**، الآية 1–2.

[3] أرسطو طالسين، **الخطاب**، تح/ عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان،(د.ط)، 1979م، ص 130.

إلى ما يتلوه، كما يعتبر هذه الافتتاحية بداية في فتح السبيل لما سيأتي بعده من أفكار مناسبة ومنسجمة وفق تسلسل منطقي من ناحية جمالية وإبداعية.

ويطلق أحمد الهاشمي على الاستهلال مصطلح الافتتاح وهو: «**أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من خلال الكلام**».[1]

ونقصد من خلال هذا القول أن يكون مطلع الكلام أن يتضمن معنى دالا ومقصودا، يرمز إلى المعنى المراد استخدامه لغاية وهدف مقصود.

كما يدلي أحمد بقول مغاير من الكتاب نفسه بقوله: «**أعلم أن للكتابة أركانا لا بد من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن أولهما: أن يكون مطلع الكتاب عليه جدّة ورشاقة فإن الكتاب من أجاد المطلع والمقطع، أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب**».[2]

المقصود من هذا القول أن الكتابة لها أركان وقواعد وأسس تقوم عليها ويجب مراعاتها والعمل بها، فهي مثل القوام الذي تقوم عليه، كما يمكن تشبيه هذه الأسس والقواعد وتمثيلها بالعصا الذي يستند عليها صاحبها، وإن الكاتب المتمكن هو الذين يحدد المطلع والمقطع، إذ يحمل في طياته هدفا يهدف إليه.

وبقول عامر جميل في هذه الصدد: «**ومن الملاحظ أن الاستهلال يرتبط بالأشياء الحية، أو المتحركة فوجدوه دليل على الحيوية أو الحركة في الأشياء التي يستسهلها، السحاب/بكاء الصبي/غرّة القمر؛ ولذا فإن دراسة الاستهلال، هي دراسة للجزء النامي من الشيء، حي/ متحرك، مما يحمل معه، إنه لا ينفصل عن نصه، فهو يشكل معه؛**

[1] أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2012م، ص28.

[2] المرجع نفسه، ص 19

البناء المتكامل. إلا أنه يمتلك خصوصيته المتمثلة بكونه البدء في حياة/ أو حركة النص».[1]

من خلال هذا نقول: إن الاستهلال يتعلق ويهتم بدراسة الجزء النامي من الأشياء الحية، والمتحركة ويرتبط بها ارتباطا قويا مع أجزاء النص، ولا ينفصل عنه. فهذا الافتتاح أو بالأحرى الاستهلال يقوم بتكوين بناء مناسب متكامل، وتركيب متناسق، يسعى إلى تحقيق جمالية إبداعية وفنية، كما أن الاستهلال عتبة مهمة من عتبات النص الشعري مع امتلاك هذا النص خصوصية متمثلة في تمتعه ببداية حياتية للنص الشعري وحركية يتميز بها النص.

ومن الملاحظ أن الاستهلال ذو بنية فنية وأسلوبية وهذا حسب ما ذكره عامر جميل: **«فالاستهلال بنية فنية وأسلوبية تميز عن باقي مفردات النص وبما يتناسب مع موقفه في أول الكلام، مما يستلزم عناية خاصة تدفعه إلى التميز عن باقي عناصر النص، مع كونه من نتاج النص، إلا أن مفرداته تمتد كخيوط السدى مولدة صورا ومفردات تنبثق منه، لأنه مشحون بالمعرفة والإحالة والتأويل. وهذا ما يدفع إلى الاستهلال أن يكون منسجما مع بقية كلامه، ولا يكون فيه ما هو منفردا وغريبا وإن يجد التخلص منه والدخول إلى ما يريد قوله بالتئام وانسجام».**[2]

أي إن للاستهلال جماليات فنية تميز النص الشعري على غيره من النصوص الأخرى، من ناحية المعرفة والإحالة والتأويل وكذا الانسجام مع بقية كلامه، كما أن الاستهلال يكون شيقا وحسنا ومميزا على ما يحتويه النص اي من ناحية المضمون.

---

[1] عامر جميل شامي الراشدي، **العنوان والاستهلال في مواقف النفردي**، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012م، ص 97.

[2] المرجع نفسه ، ص 100.

ويعرّف ياسين نصير الاستهلال بقوله: «**والاستهلال عندي ذو بعد فلسفي شامل، فهو المبتدأ لكل شيء، وما خبره إلا العمل نفسه. وقد لا نكون مغالين إذا تصورنا أن أي عمل لا يبتدئ ببداية جيدة لا يصبح عملا جيدا**».[1]

ويقصد ياسين نصير لهذا القول أن كل عمل بدايته جيدة يصبح عملا جيدا وهذا يكمل في افتتاحيته الجيدة التي ابتدأبها .

كما يستأنف أيضا عن الاستهلال بقوله: «**ونقول عنه أنه ما من شيء يحدث في النص إلا وله نواة في الاستهلال، فهو بدء الكلام، وهو بدء التأسيس، فالبداية التي نعنيها هنا: البداية المولودة والمهيمنة فهي ليست قوة إشعاع أو تنوير ما للنص، وإنما هي الحاضنة لما سيحدث في النص ونشبه الاستهلال بالبيضة المخصبة، تلك هي الحاضنة لما سيحدث في النص الإبداعي إلى جنين ومن ثم إلى كيان إنساني كامل له رأس وجسد وأحشاء وأجزاء أخرى، حاملا في تركيبه طباعا وسلوكا نفسيا ومشاعر وأفكار، فإذا ما احتوت البيضة المخصبة على تشويه ما، ظهر ذلك جليا في تفاصيل كيانها اللاحق ولازمه التشويه**».[2]

يحاول نصير من خلال تعريفه أن يبين لنا ما يحدثه الاستهلال في النص الشعري، باعتباره المفتتح الأساس للكلام والحديث وصاحب السيطرة والهيمنة فيه. فقد شبه الاستهلال بالبيضة المخصبة والتي ستتحول خلال عملية الإبداع إلى صور بيانية ومحسنات بديعية ومختلف الأدوات الفنية التي تسهم في ربط القصيدة وانسجامها مع بعضها البعض والتي تحمل في طياتها مجموعة من المعاني و الدلالات المختلفة عن بعضها البعض مما تحقق للقصيدة جمالية مثالية وسليمة.

---

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع سورية، دمشق،(د.ط)، 2009م، ص 7.

[2] المرجع نفسه، ص 18- 19.

ويقول عنه –الاستهلال الشعري– يوسف حسين: «**وهو أول ما يقع في السمع من القصيدة والدال على ما بعده، المنزل من القصيدة منزل الوجه والعزة، فإذا كان المطلع حسنا، وبديعا ومليحا وشيقا، وصدر بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو تشويق كان داعيا إلى الاستماع والإصغاء إلى ما بعده**».[1]

المقصود من قول يوسف أن مطلع القصيدة إذا تميز بالحس الجمالي كان بديعا وشيقا، فإنه يؤثر في سمع المتلقي وجذب مشاعره وأحاسيسه وأفكاره نحو هذا المطلع، كما يهدف إلى تشويقه والإصغاء إلى ما جاء بعده من كلمات وعبارات تنطوي تحت قالب جمالي يقتضي أفكارا وإبداعا وفنا.

وغالبا ما يستهل النص الشعري بمقدمة أو افتتاحية شعرية كذلك الشيء نفسه بالنسبة للرواية، فإنها تستهل للدخول إلى عالم الأحداث لعرضها أو أنها تنفتح بافتتاحية سردية، وهو الحال كما تذكر سيزا قاسم: «**وهي مستلهمة من افتتاحية الأوبرا لأنها تمثل وحدة فنية مستقلة بالرغم من ارتباطها بالعمل ككل كما أنها تقدم بعض التيمات التي ستتطور، ويعد الاستهلال من أهم عتبات النص الموازي التي تحيط بالنص الأدبي خارجيا، وهو أيضا من أهم عناصر البناء الفني سواء في الشعر أم الرواية أم الدراما، ويعد كذلك بمثابة مدخل أساسي لولوج عالم الرواية الحكائي إذ يرتبط به علاقة تواصلية حقيقية، وهو يسهم في استكناه النص الروائي تشكيلا ودلالة**».[2]

وعلى هذا فالاستهلال يعد أهم عتبات النص، وكذلك من أبرز عناصره البنائية الفنية ؛ أي تلمس الجانب الإبداعي والجمالي الذي يتمركز داخل محتوى ومضامين النصوص الأدبية، كما أنه مدخل وبداية أساسية للنص الروائي أو الحكائي وكذلك الشعري، مما

---

[1] حسين بكار، **بناء القصيدة في النقد العربي القديم**، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)،(د.ت)، ص204.

[2] سيزا قاسم، **بناء الرواية**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 39.

يؤدي ذلك الاستهلال والافتتاح بتكوين علاقة ورابطة تواصلية حقيقية تربط محتويات النص مع بعضه البعض تناسقا وانسجاما.

2)المبحث الثاني: الاستهلال الشعري بين القديم والحديث

عرفت المقدمات الشعرية اهتماما كبيرا من قبل الشعراء والنقاد، لما لهذه العتبة النصية من تأثير على النص الشعري مثل معظم الأشياء المستقرة في حياة الناس، كذلك استقر مطلع القصيدة العربية الجاهلية، فكان أغلب الشعراء في العصر الجاهلي يبتدئون قصائدهم بالوقوف على الأطلال، أو كما تعرف بمقدمة النسيب.

إن تسليمنا «**بوصف الأطلال وذكر الديار تقليدا راسخا في افتتاح** القصيدة»[1] يؤدي بنا إلى التسليم بأن الشعر العربي القديم قد حافظ على النظام البنائي للقصيدة العمودية الجاهلية، خاصة المعلقات والتي تعد من أروع ما قيل في الشعر العربي القديم، والتي كان الاستهلال فيها يندرج تحت قضية قائمة بحد ذاتها، حيث عرف الاستهلال في المعلقات بالوقوف على الأطلال.

إن أغلب «**القصائد تتفق بوقفتها على الأطلال، ويمكن أن نستثني منها قلة من القصائد كمعلقة عمروبن كلثوم الذي استهلها بالخمرة، ففي كل مطلع قصيدة وقفة حافلا بالذكريات تعرض ضمن شريط مجبول ومنسوج بالحزن والأسى والعبرة والاستجواب، واستحضار طيف المحبوبة فلا تخلو قصيدة من ذكر أيام اللهو والحب، وهذا ما يدعونا للقول إن الوقوف على الأطلال حالة شعورية صادقة، نقلها الشاعر من أعماقه، وعن تجربة فيها لوعة وشوق وحب وود ووفاء**».[2]

---

[1] محمد عبد الواحد حجازي، **الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية**، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2001م، ص 206.

[2] محمود محمد أسد، **تطور مطلع القصيدة العربية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي**، مجلة عود الند، ع68، ص 1.

فالشاعر الجاهلي قضى حياته منتقلا من مكان إلى آخر، مصورا وحشة هذه الأطلال بعد أن كانت عامرة بأهلها، ثم ينتقل إلى وصف رحلته في أعماق الصحراء من خلال الوقوف أمام الصحراء الفسيحة من ظواهر طبيعية وحيوانات مختلفة، إلا أنه يوظف صوره وصياغاته في كل مقطع جديد ينتقل إليه الشاعر، ولذا جاءت مطالع القصائد العربية القديمة وبداياتها تقليدية، وعادة ما تكون معادة وكأنها منفصلة عن سياقها الاجتماعي وليس لها علاقة ورابطة بمتن القصيدة ومضمونها.

ويعود سبب هذا البناء الذي تميزت به القصائد القديمة إلى مجموعة من الأسباب، من بينها بناء القصيدة الذي يعد انعكاسا لبناء المجتمع وفكره، واقتصاده وثقافته، إضافة إلى تعدد واختلاف القبائل العربية وطريقة العيش والحكم السائد فيها.

وجاء في كتاب "براعة الاستهلال" لمحمد بدري قول الدكتور محمد كامل: «**كان الشاعر العربي يبدأ قصيدته بالنسيب كما يبدأ الشاعر الأوروبي قوله بالإشارة إلى أساطير الإغريق، كلاهما يود أن يبدأ بالمألوف من القول، يتبّع الأسلوب المعبّد من قبل حتى يطمئن إلى إيجادته القول، ثم يندفع فيما يريد أن يقول. سوى أن الشاعر الأوروبي كان يعني بالمعاني التي يتحدث عنها، أو كان يعني بالواقائع التي يرويها من هذه الأساطير، أما الشاعر العربي فكان همه التفتن في القول وحسن السبك والموسيقى لا يعنيه كثيرا المعاني التي ينكرها في نسيبه**».[1]

نلحظ من خلال هذا القول أن محمد كامل يفتح باب المقارنة بين الشاعر الأوروبي والشاعر العربي، فهذا الأخير يستهل قصيدته بالوقوف على الأطلال وذكر الديار وهذا ما كان معروفا ومألوفا عند العرب بينما الأوروبي فقد كان يسلط الضوء على الأساطير والملاحم الإغريقية القديمة التي كانت سبب شجاعتهم وقوتهم ويهتم بالمعاني التي يتكلم

[1] محمد بدري عبد الجليل، **براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،(د.ط)، 2006م، ص 19.

عنها والوقائع والحقائق، بينما الشاعر العربي فهمه الأوحد هو التلاعب بالمعاني والقول وحسن السبك والإيقاع فهي بمثابة جوهر وكيان القصيدة العربية القديمة.

وقال ابن رشيق في العمدة:«... **فإن الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستبدل على ما عنده من أول وهلة».**[1]

أي إن الشاعر يجب عليه أن يحسن ابتداء شعره كونه أول ما يقرع السمع وتطرب إليه الأسماع وبه يستشهد ويلمح لما عنده من تفنن في القول من أول لحظة.

كما هو الحال عند امرئ القيس الذي استهل معلقته بالوقوف على الأطلال وذكر أيامه مع صاحبته[2]:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

إن الوقوف على الأطلال في الشعر الجاهلي من صلب الواقع، ومحركه الوجداني المعاناة التي يعيشها الشاعر، جراء رقة أحاسيسه وطبعه ومشاعره نتيجة قساوة الحياة ومتاعبها.

وهذا طرفة بن العبد يستهل معلقته بقوله:[3]

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فالحقبة الزمنية التي عاشها الشاعر في العصر الجاهلي أدت به إلى بناء قصائده واستهلالها على منوال من سبقوه من الشعراء، وذلك بالاعتماد على أغراضهم الشعرية

---

[1] أبو علي الحسن بن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ج1، تح/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001م، ص 195.

[2] امرئ القيس، **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، ص 110.

[3] طرفة بن العبد، **الديوان**، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، ص 19.

القديمة المتمثلة في الغزل والهجاء والمدح والرثاء والفخر.وذكر للمحبوبة المفعمة بمجموعة من الأحاسيس والمشاعر الوجدانية .

وقد تنبه ابن رشيق إلى حسن الافتتاح لدى الشاعر الجاهلي في القصائد القديمة إذ يقول: «**إن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ولطافة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح**».[1]

فالشاعر يجب أن يفتتح قوله بلفظ حسن وبديع يحتوي على جمالية فنية وبلاغية بعيد كل البعد عن التعقيد في الابتداء، فإنه أول ما يطرب الأذن وتتلقاه وتنجذب إليه الأسماع وتستصيغه بغية التأثير والتأثر بالآخر.

ولا يخفى على الشاعر العربي بأن: «**الاستهلال وجه القصيدة، وأول ما يطالعنا من ملامحها، إنه ألق عينها الواعد بكيان شعري مكتمل، فهو الانطباع الأول عنها وإشارة البدء والعتبة الثانية بعد عنوان القصيدة. وهو لا يحدد بعدد من السطور، إلا أنه يتناسب مع حجم القصيدة وعدد سطورها أو أبياتها**».[2]

أي إن الاستهلال هو كيان القصيدة وهو أول ما يطالعنا بما تحتويه من جماليات وانطباعات، إذ يعد ثاني عنصر بعد عنوان القصيدة.

غير أن النظام الذي تقوم عليه القصيدة القديمة قد تغير واختلف عمان كان عليه بسبب تمرد طائفة من الشعراء على المقدمات الطلالية القديمة. عرفت بشعراء الصعاليك وأصبحت موضوعا للسخرية والاستهزاء، وهذا ينطبق على الوقوف على الأطلال والبكاء الذي تجلى واتسمت به معظم استهلالات القصائد التي كانت عبارة عن تصوير صورة

---

[1] أبو علي الحسن بن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ص 195.

[2] صبري مسلم، **تشكيلات الاستهلال في القصيدة العربية المعاصرة**، صحيفة الجمهورية، www.yemeress.com ، 2010/05/15م، 09:49.

للحياة التي يعيشها الشاعر العربي من بطولات ومآثر ومفاخرات بالأنساب والتقاليد والأعراف القديمة.

يقول ياسين نصير: «**لقد فرضت الأمكنة –الصحراء والأطلال والمرأة والناقة– على الشاعر بناء شعريا هندسيا متكرر الوحدات والوظائف، كي يخرج على التقليد، خروجا على أعراف ثقافية، وكان أول خروج على هذه التقاليد تم على يد الشعراء الصعاليك استجابة لخروج الصعاليك كفئة وجماعة على تقاليد المجتمع وأعرافه. كان تمردهم على قالب الشعر الجاهلي تمردا على الوظيفة الاجتماعية للشعر نفسه. ويعد الشعراء الصعاليك أول من كسر الطوق المألوف لعلاقة الشعر بالمجتمع فأكدوا هويتهم الشعرية من خلال الموضوعات التي عالجوها**».[1]

أي أن الشعراء الصعاليك جاء شعرهم بصورة جديدة من خلال الثورة على المقدمات الشعرية، لتحل محلها مقدمات فروسية وتخلص شعرهم من ذكر المرأة والمحبوبة والوقوف على الأطلال، وأضحت القصيدة بعيدة عن الاضطراب بين الموضوعات التي تعالجها وتتناولها،كقول الشنفرى:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل[2]

ويتوالى التمرد على النظام الفني للقصيدة العربية الجاهلية، خاصة على عنصر الاستهلال فهذا عنترة بن شداد يقول:

هل غادر الشعراء من متر دم أم هل عرفت الدار بعد توهم[3]

وقد استمرت حركات التجديد في القصيدة العربية بشكل منتظم لدى معظم الشعراء وذلك من خلال إعلانهم عن خروجهم عن الطابع المعروف لدى سابقيهم إلا أن هذا

---

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، ص 66-76.

[2] الشنفرة ، عمرو بن مالك ،الديوان، جمعه و حققه و شرحه إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط02 ،1997م، ص58.

[3] عنترة ابن شداد، **الديوان**، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 2001م، ص 13.

التمرد:« **كان تمردا على العقلية الشعرية كلها، ولقي من النقاد الهجوم تلو الهجوم وعد مارقا، وحركته التجديدية خروجا على مألوف العرب**».[1]

حيث كان التمرد الذي قام به فئة من الشعراء العرب انقلابا على النظام الفني للقصيدة العربية الجاهلية، كما أنه عد تجديدا كونه لم يتناول ولم يعرف لدى العرب.

إلى أن جاء الدين الإسلامي حاملا معه لواء الدين الحنيف، فتأثر به العرب حيث كانت الغور الطلالية في الجاهلية تختلف عما صارت إليه في صدر الإسلام وظلت:

« **القصيدة العربية في مرحلة أقرب إلى الاستقرار على نهج الشعراء الجاهلين، فأغلب الشعراء المخضرمين كحسان بن ثابت مازالوا على عهدهم بالشعر وتقاليده وغيره من الشعراء كلبيد والحيطئة**».[2]

ونذكر وقفة كعب بن زهير بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قدم معلنا إسلامه قائلا:[3]

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها، لم يجز مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلو ا لا أغن غضيض الطرف مكحول

فقد وقف كعب بن زهير ليختار سعاد مستهلا قصيدته بأبيات ذاكرا اسمها وواصفا ما أراد وصفه بغرض المدح أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، معتذرا طالبا العفو والصفح منه، على الرغم من أن مطلع القصيدة كان يندرج تحت غرض المدح، إلا أنه لم يخف الرسول صلى الله عليه وسلم إعجابه بهذه القصيدة، فخلع بردته وألبسه إياها من شدة إعجابه، وقد ذكر بعض النقاد والدارسين:« **أن الشعر في هذه الحقبة ضعف وخمدت ريحه وثورته**».[4]

---

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، ص 68.

[2] محمود محمد أسد، **تطور مطلع القصيدة العربية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي**، ملتقى أهل اللغة، www.oudanad.net، 2019/0/13م، 09:54.

[3] كعب بن زهير، **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)، م1997م، ص 60.

[4] محمود محمد أسد، **تطور مطلع القصيدة العربية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي**.

أي إن الشعر العربي عرف انحطاطا وضعفا بارزا في تلك الفترة. والحقبة الزمنية التي أدت به إلى الخمود، وهذا راجع إلى عدة أسباب مختلفة عن بعضها البعض أولها إحساس الشاعر العربي بإعجاز القرآن الكريم وبلاغته، وميل المسلمين واهتمامهم بالفتوحات الإسلامية ونشر الدين الإسلامي وحفظه وتلاوته، ومقابل هذا تخليهم عن العصبية القبلية والخمرة، وعن أماكن اللهو، والمجون والفحش ومجالس الشرب والتغزل بالنساء، والإسلام لم يمنع من قول هذا النوع من الشعر بل هذبه وعدله بمجموعة من الصفات والخصال الحسنة، وهذا التغير لم يكن وليد لحظة وأخرى، وإنما استغرق وقتا حتى استطاع الشاعر العربي التلاؤم مع الحياة والدين الجديد الذي فرض تعاليمه وقواعده، وأسسه[1].

وهذا حسان بن ثابت يدعو إلى ترك هذا التقليد الشعري بعد ما تشبع بروح الدين الجديد ومبادئه قائلا:[2]

فدع الديار واذكر كل خريدة بيضاء آنسة الحديث، كعاب

واشك الهموم إلى الإله وما ترى من معشر متألبين غضاب

ففي هذا البيت، يدعو حسان بن ثابت إلى ترك ما عهدوه من بكاء على الأطلال ومن وصف الديار والتغزل بالنساء، ذلك أن تعاليم الدين الحنيف تفرض عليهم ترك ذلك والأخذ بما هو متعلق بهذا الدين.

وقد جاء قول عثمان موافي:« **وفطن بعض المتأخرين منهم نسيبا كابن رشيق إلى الأثر الواضح الذي أحدثه التغير الاجتماعي الذي جد على العرب بعد الإسلام في تغير بعض عناصر هذا البناء الفني، كنعصر بكاء الأطلال، الذي كان لظروف العرب البيئية دخل كبير في إحلاله مكان الصدارة من بينة القصيدة.ولكن مادامت البيئة قد تغيرت**

[1] محمـــــد مجـــــد الـــــدخيل ، الشـــــعر الإســـــلامي بـــــين النقـــــاد القـــــدماء و المحدثين،wwwalarabiahconfence.org(14/07/2019) ،10:10

[2] حسان بن ثابت الأنصاري، **الديوان**، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ص 20- 21.

وتغيرت معها حياة هؤلاء الناس، وأحوالهم الاجتماعية، فليست هناك ضرورة للالتزام بهذا القيد الفني».[1]

مما أدى هذا إلى ذهاب تلك الاستهلالات الشعرية القديمة، التي اعتمد عليها الشعراء في قصائدهم الشعرية، وهذا استغرق زمنا حتى مكن الشاعر العربي التلاؤم والتعايش مع المظاهر التي نبيت عليها الحياة الجديدة والمختلفة عما كانت عليه الحياة سابقا.

وبعد الثبات الذي عرفته القصيدة العربية في الحقبة التي ظهر فيها الإسلام عرفت عدة أسباب منها ظهور الأحزاب والخلافات وتأزمها، وهذا ما أدى بالقصيدة إلى الفخر والحماسة والحيوية التي عرفتها القصيدة العربية في العصر الأموي، مما ظهر العديد من الشعراء كجرير والفرزدق والأخطل المعرفون بشعراء النقائض.

ولعل عمر بن أبي ربيعة: «**كان أعذب الشعراء الإسلاميون في صدر الإسلام، وعصر بني أمية، وأرقهم شعورا وأصولهم نفسا وأجملهم حلية بيانية في تصويره لمشاهد الأطلال التي وقف عليها**».[2]

إلا أن بناء القصيدة العربية في العصر الأموي ظل على منوال طابعه القديم سواء من ناحية الشكل والمضمون الذي يحتويه النص الشعري القديم.

والأكيد أن التطور ولج إلا في العصر العباسي والمعروف بالعصر الذهبي عند شعراء الأحزاب كالأميت بن زيد الأسدي، وذلك بتهيأ الظروف المساعدة فاختلط العرب بالعنصر الأعجمي الفارسي واحتضانهم بالثقافات والمعارف مما أدى إلى تطور الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية.

إلا أن هناك طائفة من الشعراء العرب من ثار على المقدمة التقليدية للقصيدة العربية القديمة:

---

[1] عثمان موافي، **دراسات في النقد العربي**، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية،(د.ط)، 2004م، ص 231.

[2] محمد عبد الواحد حجازي، **الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية**، ص 207.

«وإذا كان من الشعراء من افتتح بالأطلال فأحسن وأجاد وإذا كان منهم من تكلف واعتسف، فإن من الشعراء من وقف من الأطلال موقف العداء، بل موقف الساخر الزارى فعاب الأطلال وأهلها».[1]

فقد دعا إلى تجنب وترك الديار وذكر الأطلال في القصيدة العربية فقد وقف موقفا معاديا ومناقضا بالنسبة للشعراء واستبدلها بالمقدمات الخمرية.

«فأبو نواس شاعر مجدد في كل أغراض شعره ولكن هذا التجديد يختلف في درجته من غرض إلى آخر، وهو مع هذا ظل محافظا على الأصول الفنية للشعر العربي القديم».[2]

فهو يلعن الذي يتجه ناحية الأطلال ليقف عندها متأملا مذكرا في شجى وأسى؛ فهو يقول:

عاج الشقي على دار يسائلها وعجت أسأل عن خمارة البلد[3]

ففي نظر أبي نواس أن من العيب أن يقف الشاعر أمام الأطلال والديار القديمة التي مرت عليها فترة من الزمن ليتذكر ما كان له من ذكريات وأحاسيس ومشاعر يشعر بها من خلال رؤيتها فبالنسبة له فهو يسأل عن خمارة البلد لأن في الخمر صورة تستصيغ لها الأذان وتميل إليها النفوس.

فإذا جئنا إلى الشعر الحديث وجدناه قد اتخذ منهجا جديدا متميزا؛ فالافتتاحية الطلالية أصبحت في العصر الحديث عملا فنيا يقوم بذاته يتماشى مع مواقف الحياة التي يعانيها الشاعر ويتعايش معها.

---

[1] المرجع السابق، ص 213.

[2] عثمان موافي، **دراسات في النقد العربي**، ص 233.

[3] أبو نواس، **الديوان**، دار الراتب الجامعية، لبنان، ط1، 2008م، ص 144.

والمعروف أن الأدب صورة الحياة، وأنه يزدهر بازدهار الحياة وينحط بانحطاطها، والظاهر أن الشاعر المعاصر والحديث تنتابه العديد من الأحاسيس والمشاعر نحو العصر الذي يعيشه والمشاكل التي يتعرض لها جراء أسباب سياسية واجتماعية وثقافية، فالشاعر يهدف إلى التعبير عن هذه القضايا المختلفة، إذ رأى في الشعر الحر المعروف بشعر التفعيلة الوسيلة الوحيدة للبوح بهذه القضايا من طرف الشاعر العربي مما فتح بابا واسعا للشعر المعاصر: «**الحديث عن الشعر الحر ليس سهلا فهو من التعقيد والتنوع ما تعجز عنه أية دراسة نقدية مهما كان منهجها أو محتواها. فكيف بنا ونحن نتناول عنصرا مهملا من قبل الشعراء، قبل النقاد، ألا وهو استهلال القصيدة الحديثة**».[1]

أي أن الشعر الحر ليس بالأمر الهين كونه يتعرض إلى مجموعة من التغيرات والتعقيدات المتنوعة، كيف ما كان المنهج المتبع والمحتوى الذي يرمي إليه الشاعر الحديث فالاستهلال الشعري أخذ حيزا مهما يقوا بدر شاكر السياب في استهلال قصيدة "أنشودة المطر"[2]:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر،

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

فهذا الاستهلال يحمل قيمة فنية وجمالية تؤدي بالقارئ إلى التأويلات والخوض فيها وتعدد قراءاته خلال مقاطع القصيدة، ووجهة الأذهان من خلال الأبيات المستهلة من قبل الشاعر فإنه قد يقصد الأم أو الحبيبة أو الوطن، وربما قد يكون يحن إلى قريته التي ترعرع وعاش فيها طفولته.

إلا أن القصيدة العربية عرفت تطورا: «**عند الشعراء المعاصرين أمثال بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، البياتي، صلاح عبد الصبور. وفق أساليب فنية جديدة، قديمة**

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في البدايات في النص الأدبي**، ص 109.

[2] بدر شاكر السياب، **الديوان**، مج2، دار العودة، بيروت،(د.ط)، 2005م، ص 119.

بمعنى أنهم خلقوا لقصائدهم مسندات أسلوبية كانت موجودة لكنها استعملت بما يتوافق ولغة العصر ومشكلات الحياة ونظرة الشاعر المحدث لها (...) فالتطور الداخلي والخارجي للشاعر هو تطور لمفردات القصيدة نفسها، والاستهلال الجديد أحد هذه المفردات التي أصابها التطور فاحتوى ما هو جمالي معاصر، وما هو بلاغي قديم، وما هو قانوني ثابت. لذلك نجد الحداثة لا تقوم على تطور خارجي . اجتماعي فقط، بقدر ما تأسس هذا التطور على تطور المفردات الداخلية للنص».[1]

أي أن الشعر الحديث وشعر التفعيلة جاء بمجموعة من العناصر والقواعد الجديدة وذلك وفق أساليب فنية جديدة مخالفة للأساليب القديمة التي كانت متعارفة لدى معظم الشعراء العرب قديما وذلك خلال نسجهم لقصائدهم، إلا أن هذه الفنيات الجديدة وخلقت وجاءت لتتناسب وتتوافق مع روح ومتطلبات العصر ونظرة الشاعر المحدث لمشاكل العصر وهذا ما أضاف للقصيدة عنصرا جديدا مختلفا كل الاختلاف عما كانت تحويه موضوعات القصائد القديمة.

إلا أن هذا لا ينفي جمالية القصائد الشعرية رغم اختلافها وتنوعها سواء من ناحية البناء أو من ناحية المواضيع وكذلك من ناحية الأغراض الشعرية.

3)المبحث الثالث: وظيفة الاستهلال الشعري

يكتسب الاستهلال الشعري قيمته الأولى، من كونه الجسر الفاصل بين الغياب والحضور، ومن خلاله ترتسم القصيدة العربية بصورتها الواقعية، بعد أن كان تصورا متخيلا، إذ يظهر بعبء نقطة الظهور المطبوع والمسموع للنص الشعري، بعد أن كان

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في البدايات في النص الأدبي**، ص 228.

مضمرا إلى أن يستخدمه في بنية تركيبية متناسقة ومتكاملة تؤسس لبداية حياة نصية شعرية جديدة، تهدف بالتحول من المجهول إلى المعلن، ومن المحسوس إلى الملموس، ومن الصمت إلى الصورة، ومن السكون والثبات إلى الحركة، «**كي يتحول المجهول الفراغ إلى مادة معرفية ملموسة/نص، فلابد أن يكون هناك من يعلن بداية هذا التحول إن لم يكون انقلابا على واقع نحو واقع. وحتى يكتب النجاح لهذا التحول فلابد أن تكون الإشارة الأولى لإعلان هذا التحول الاستهلال مستوفية شروط ذوق المتلقين وبما يتناسب مع العرف السائد عندهم**».[1]

أي إن النص الشعري هو عبارة عن تصور ذهني إلى أن يتشبع بمادة معرفية ملموسة إلا إذ كان قد أعلن عن بداية هذا المجهول الذهني إلى كيان واقعي ومكتوب مستوفي لمجموعة من الشروط والمبادئ الذوقية التي تتلأم وتتناسب مع كل عرف سائد في مجتمع من المجتمعات. ولأجل هذا فقد التقى مجموعة من النقاد والشعراء على أن المرحلة التي تكون القصيدة قد غدت بمثابة الهاجس يلح على الشعراء، فمن أهم المضامين التي تجسد معاناة تأليف النص الشعري لدى الشعراء، هذه المعاناة ارتمت على نصوص هؤلاء الشعراء، سواء كانت مبينة لها أو كاشفة لها من جهة الدور الأساسي الذي يلعبه الاستهلال الشعري باعتباره أول العتبات النصية للنص الشعري.[2]

حيث تتمثل الوظيفة الأولى للاستهلال في جلب انتباه القارئ أو السامع وشده إلى الموضوع، فبضياع انتباهه تضيع الغاية والهدف الذي كان يهدف إلى الكاتب والأديب بصفة عامة في كتاباته الشعرية، إذ يقول أرسطو في الخطابة: «**الغرض من الإهابة**

[1] عامر جميل شامي الراشدي، **العنوان والاستهلال في مواقف النفري**، ص 101.

[2] البندري معيض عبد الكريم الشيخ الذيابي، **الاستهلال في شعر غازي مقارنة نسقية تحليلية**، رسالة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، إشراف الدكتور ناصر يوسف إبراهيم جابر شبانة، كلية اللغة العربية، فرع الأدب والبلاغة والنقد، جامعة أم القرى، 1433- 1434هـ، ص 41- 42.

بالسامع هو أن نجعله أحسن استعدادا نحونا أو نثير حفيظته وأحيانا لجذب انتباهه أو لصرفه».[1]

أي إن الإهابة هي شرط ضروري تؤدي بالسامع إلى الاستعداد والتهيؤ اتجاه ونحو العمل المطلوب منه، كما أن الغرض من هذه الإهابة إثارة حفيظة القارئ أو السامع أو المشاهد وجذبه إلى الموضوع المطروح إضافة إلى جذب انتباهه وشده، وذلك يتم من خلال مجموعة من السمات الجوهرية لسهولة هذه العملية.

كما أن الشخص والذات السامعة ليست عبارة عن أصوات يتلقاها الشخص وينصت إليها من خلال ذبذبات من الخارج أي يقوم باستقبالها والاستماع إليها، فالمعروف هو أن هذا الشخص تصحبه مجموعة من المعارف والعلوم والمشكلات، فهو إنسان وابن هذا الواقع الذي ينتمي إليه، فالمعروف هو أن الإنسان ابن بيئته فهو يعيش مساوئها ومسراتها وحسنها ورديئها، فهذا الإنسان متشبع بروح العصر والواقع الذي ينتمي إليه والتاريخ العريق الذي ورثه عن **أجداده، وعن ذلك يقول أرسطو: «أن مثال هذه المداخل ليست موجهة إلى سامعين مثاليين بل إلى سامعين كما نجدهم في الواقع».**[2]

أي إن معايشة الواقع أمر ضروري سواء كان من ناحية الجوانب العلمية والتاريخية والأدبية، والاجتماعية.

حيث أن جذب انتباه المستمع نحو الموضوع يتم بأدوات وسمات وصفات كلامية حسنة، وذلك يتم عن طريق ووفق أسلوب تعبيري لبق وحسن سواء كان ذلك على المستوى الأسلوبي للشخص أو على المستوى الكلامي أو التعبيري الذي يتميز به من عبارات وألفاظ وجمل ناجحة يقول أحمد الهاشمي في "جواهر البلاغة" :**«وحسن الابتداء، أو براعة المطلع، هو أن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا، واضح المعاني، مستقلا عما**

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي** ،ص23.

[2] المرجع السابق، ص 23.

بعده، مناسبا للمقام بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته، لأنه أول ما يقرع السمع وبه يعرف مما عنده».[1]

فمطلع الكلام عليه أن يتميز بالعذوبة والرقة والسهولة، يحمل في طياته معاني واضحة بعيدة عن التعقيد ومكتفيا لما يحمله وماء فيه كما أنه يأتي تحت قول لكل مقام مقال مما يؤدي بالسامع إلى الانجذاب والميل والإصغاء لذلك الكلام كونه البادئ الذي تستهويه وتميل إليه النفس وترتاح إليه.

وقد قال بعض الكتاب: «**أحسنوا الابتداءات فإنها دلائل البيان، فمتى كان الاستهلال بليغا ومؤثرا يتناسب مع موقفه الذي يقال فيه وموحيا للصور والمعاني حقق وظيفته الأولى جذب الانتباه** ».[2]

يتسوجب حسن الابتداء والافتتاح حضور جمالية كلامية واضحة، سواء من ناحية المعاني، أو من ناحية الألفاظ المستخدمة التي تمتاز بالرقة والجمالية والسهولة وتناسبها مع الموقف الذي توحي إليه، بحيث تجذب السامع إلى الإصغاء، والقارئ إلى القراءة والمتابعة لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام.

أما الوظيفة الثانية للاستهلال عند ياسين نصير فهي: «**التلميح بأسير القول عما يحتويه النص، وهذه الوظيفة ذات شعب عدة، منها أن الاستهلال له موقع يرتبط به مع بقية عناصر النص برابط عضوي، وأن يكون الاستهلال في أحسن المواضع أو أكثرها استشارة».**[3]

يحاول ياسين نصيرمن خلال تعريفه أن يبرز لنا ما يمكن أن يعمله الاستهلال في كامل بنية القصيدة وكيفية ارتباطه مع باقي عناصر النص الشعري وقد شبهه برباط

---

[1] أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د.ط)، ص 341.

[2] عامر جميل شامي الراشدي، **العنوان والاستهلال في مواقف النفري**، ص 101.

[3] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في البدايات في النص الأدبي**، ص 24.

عضوي كالذي يربط أعضاء ومفاصل جسم الإنسان بشكل منسق ومتناسق وفي أحسن حلة استهلالية جمالية.

يقول القاضي الجرجاني: «**على الشاعر الحاذق أن يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة. فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الجمهور، وتستميلهم إلى الإصغاء**».[1]

يقصد عبد العزيز الجرجاني في قوله: أن الشاعر الحاذق وهو الشاعر الذي يتميز بالفطنة وقد ألزم وأوجب عليه صفة الاجتهاد والمثابرة بهدف تحسين الافتتاح بصدد أنه الموقف الذي يجذب ويلفت انتباه الجمهور، ويبث الاستعطاف في أسماعهم بسبب ما يحتويه من قيم لفظية جمالية ومعاني فنية تروق وتستمع بنفوس ومشاعر وأحاسيس وعواطف الجماهير.

ومع هذا فإن كلتا الوظيفتين مكتملتين لبعضهما البعض، برغم من تنوع واختلاف فنون الإبداع وتعددها وتنوعها، وكذلك اختلاف الأغراض الفنية والأدبية وذلك كله رغم تداخل أساليب القول والكتابة، فكل هذه العناصر وغيرها **تنصب على النص وتميزه على غيره من النصوص الأخرى: «وهو بدء الكلام، وأول ما يطرق السمع من الكلام وأول ما يبتدئ به الكاتب»**.[2]

فهو يعد الافتتاحية التي يفتتح بها الكاتب كتابه، والشاعر نصه الشعري، والراوي روايته، والقاص قصته فكل له طريقته.

---

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في البدايات في النص الأدبي** ، ص 24.

[2] المرجع نفسه ، ص 26.

الفصـــل الثانـــي:

تجليـــات الاســـتهلال في ديـــوان الرصافي البلنسي دراســـة إجرائيـــة

المبحث الأول: الاستهلال الشعري والعنوان

المبحث الثاني: الاستهلال الشعري ومتن القصيدة

المبحث الثالث: الاستهلال الشعري والخاتمة النصية

1)المبحث الأول: الاستهلال الشعري والعنوان

إن العنوان عبارة عن بنية دلالية متمحورة لدى العديد من الشعراء والنقاد الدارسين بدرجة كبيرة لما اكتسبه من أهمية متمثلة في ربط محتوى النص الشعري، وذلك لما يحمله ويتضمنه من دلالات ومعاني وألفاظ لغوية، كما يعد مفتاح النص والخيط الكاشف لدلالاته وإيحاءاته إضافة إلى الغموض واللبس الذي يتمحور في متن القصائد الشعرية.

وقد أعاد جينيت ترتيب تلك الوظائف حسب الفاعلية انطلاقا من المتن الروائي الحديث معتبرا إياها كالتالي:

«الوظيفة التعيينية، الوظيفة الوصفية، وظيفة المدلول وأخيرا وظيفة الإغراء».[1]

إلا أن هذه الوظائف المتعددة والمختلفة عن بعضها البعض والمتلونة من وظيفة إلى أخرى، أصبحت من بين اهتمامات النقاد على مستوى العنوان وما يحمله من علاقات وظيفية مختلفة.

كما يمكن رصد العنوان بالنص: «**من زوايا متعددة فهناك تحولات تطال العنوان باعتباره مكونا في علاقاته الأساسية بالنص، وبالقارئ ، وأيضا في علاقته بنفسه ،بقدر ما يدعو إلى إدراك علاقة العنوان ، ليس بالنص والقارئ فحسب، بل الظروف الاجتماعية التي انبثق عنها كذلك، ويبقى العنوان علامة دالة على النص».**[2]

حيث أن للعنوان والنص علاقة متعددة الزوايا مختلفة ومتنوعة وذبك باعتبار العنوان هو المكون الأساس في علاقاته بالنص وبالقارئ وعلاقته هو في حد ذاته بنفسه، ولا ننفي الظروف الاجتماعية التي نشأ من خلالها، وفي خضم هذا نتوصل إلى أن العنوان هو مجموعة من العناصر، والمواضيع، والأسس المختلفة عن بعضها البعض، وقد اعتبر العنوان كعلامة دالة على النص وكأنه شبيه بالميزة والجوهرة التي تعلو النص وتتصدره.

---

[1] شعيب حليفي، **هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل**، دار الثقافة، (د.ب)ط1، 2005م، ص 36- 37.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

كما يعد العنوان: «**شبكة دلالية يفتتح بها النص ويؤسس لنقطة الانطلاق الطبيعية فيه. والعنوان بوعي من الكاتب، يهدف إلى تبئير انتباه المتلقي، على اعتبار أنه تسمية مصاحبة للعمل الأدبي، مؤشرة عليه**»[1]. لذلك يعد الاستهلال الشعري بالخيط والرابط المتين الذي يربط العنوان بالنص ويجمع بينهما، فإذا كان العنوان يحيل ويحمل بنى دلالية وإيحائية تضمنها النص، فإن الاستهلال هو عبارة عن رموز وإشارة أولية، بهدف تجلي ونبين هذه الدلالات، فحين يشرع القارئ والمتلقي في قراءة الاستهلال تبدأ الدلالات بالظهور، حتى يتم اكتشافها ومعرفتها والتفطن إليها من قبل المتلقي.

إلا أن هذه الدلالات أدلنا وأوضحها لنا العنوان سابقا وذلك بكون أن العنوان يعد دلالة أولية تسطع النص الشعري كبداية رئيسية وافتتاحية أساسية، كما نعتبر العنوان والاستهلال وجهان لعملة واحدة يحملان في طياتهما علاقة جدلية: «**وهذه العلاقة الجدلية بين العنوان والاستهلال الشعري، ليست وليدة البنية الشعرية الحديثة، بل كان العنوان هو الاستهلال في الشعر القديم، عندما كان يجلب لأجل التسمية، هذه الإستراتيجية التي تحولت في الشعر الحديث من وسيلة إلى غاية في حد ذاتها**».[2]

حيث يشير هذا القول إلى الطريقة التي كانت تتبع في العنونة قديما وعلى اختلافها في العصر الحديث فالعنوان في القديم يأتي به الشاعر بهدف تسمية القصيدة وجعله عنوانا لها وذلك إلى وضع عناوين تخصصية مميزة تختلف وتتنوع هذه العناوين من قصيدة إلى أخرى مع ثبات منشدها وقائلها تحمل غاية وهدف في حد ذاتها توحي وترمز إليه.

العنوان «**إذن، مرجع يتضمن بداخله العلامة والرمز، وتكثيف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته كليا أو جزئيا، إنه النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص، دون أن تحقق الاشتمالية وتكون مكتملة، ولو تبذيل**

[1] المرجع السابق، ص11.

[2] عبد الكريم الشيخ الزياني البندري معيض، **الاستهلال في شعر غازي مقارنة نسقية تحليلية**، ص 58.

عنوان فرعي والعنوان بهذا المعنى يأتي باعتباره تساؤلا يجيب عنه النص إجابة مؤقتة للمتلقي كإمكانية الإضافة والتأويل».[1]

من خلال هذا القول نستنتج أن العنوان يحمل في طياته مجموعة من الدلالات والإيحاءات والرموز، إضافة إلى كثافة المعنى بهدف إثبات وتبيين قصدية المؤلف وإيصالها إلى المتلقي سواء كانت بمعناها الكلي أو الجزئي، فالمهم هو توضيح الفكرة وكذلك الغاية التي يتضمنها هذا الأخير –العنوان– كما نلاحظ ذلك من خلال القول أن العنوان هو عبارة عن تساؤل أو بالأحرى بمثابة طرح عن سؤال، إلا أن هذا السؤال يمكن فك شفراته عن طريق بعض الدلالات والرموز، وكذلك بمجموعة من الإيحاءات والمعاني المتمركزة على مستوى النص الشعري والتي توحي إلى النواة الأولى والأساسية المتمثلة في العنوان والتي تربط بينه وبين النص الشعري العديد من الروابط والعلاقات المتبادلة والمتباينة مع بعضها البعض.

فالعنوان: «**مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي، تعكس الأفكار والخلجات المتخلفة.**»[2]؛ أي إن العنوان هو تقليص للرموز والدلالات والأفكار التي يختلجها النص الشعري، ومجمل العلاقات التي تنتج ترابطا وانسجاما بين العنوان وما يحمله من دلالات ورموز إيحائية، وبين ما يليه من النص الشعري، ويتمثل في مجموعة الوظائف الموحية والمشيرة إليه.

وترصد هذه العلاقة الموجودة بالقوة بينهما لأن العنوان هو علامة أساسية تعلو الاستهلال، وترصد هذه العلاقة في شعر الرصافي يتأتى يتفحص كل نص على حده، لأن كل استهلال تبرز فيه دلالة يبثها عنوانه ويمول لها على سليقة خاصة؛ ومن ذلك نص بعنوان: "تهنئة بمولود" يقول:

---

[1] شعيب حليفي، **هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل**، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 14.

سراء شب بها الزمان الأشيب وسماء مجد زيد فيها كوكب

وعلو منزلة تشاد بأزهر كالنجم إلا أنه لا يغرب[1]

حيث نلاحظ من خلال عنوان القصيدة "تهنئة بمولود" أنه يحمل جملة من الدلالات على مستوى المطلع الاستفتاحي والاستهلالي للنص الشعري، ويتضح ذلك من خلال كلمة "سراء" في البيت الأول، مما توحي هذه الدلالة إلى العلاقة القائمة بين العنوان والبداية الافتتاحية، فكما نعرف بأن لفظة سواء هي الكلمة التي افتتح بها قصيدته والتي تعني النعمة وشبيهتها البركة، وكأن هذا المولود الذي تم بالتهنئة بوجوده هو نعمة وبركة حظي بها الزمان وبداية تحول من الأسوء إلى الأحسن، وكأن لحظة وفترة مجيء المولود غيرت مجرى الحياة من حال الشيب والعجز والضعف إلى حال القوة والمجد والعز الذي يتمتع به الشباب، كما يتضح أيضا ويتبين أن هذا المولود هو مجد وهبته لنا السماء وضمته إلى هذا الكوكب. أي إن هناك تشابها واضحا لحد ما بين عنوان القصيدة "تهنئة بمولود" وبين البيت الأول الذي يلي القصيدة الشعرية الذي يمثل بداية أو افتتاحا للنص الشعري، وكأن الشاعر يود أن يقول بأن النعمة والسراء من الأشياء الأولية والأساسية، فهي كالبركة والهبة التي يرزق بها الإنسان من خالقه، فبين العنوان والاستهلال تشابه ليس له حدود، فالمولود هو النعمة والبركة والرزق، كما أنه يعني الشباب وبناء وإعادة زمن ومجد وعزة رزقت من السماء، مما يؤدي ذلك بالأعين إلى التجول والبحث في كل صغيرة بقدر الحروف وإلى كل كبيرة بقدر الكلمات، كما هو أيضا موضح في البيت الثاني من القصيدة وكأن بمجيء هذا المولود تعلو المنزلة وترتفع، وقد شبه الطفل بالنجم المضيء، والمعروف أن النجوم تضيء في الليل وتغرب في النهار إلا أن هذا المولود دائم الإضاءة ولا ينطفئ نوره ولا يغرب عن الأرجاء.

[1] الرصافي البلنسي، **الديوان**، جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ص 39- 40.

كل هذه العبارات في استهلال القصيدة تواصل دلالتها بالعنوان، مما أدى إلى تحقيق توال وانسجام على مستوى عنوان القصيدة وكذا البداية الافتتاحية المستهلة للقصيدة ذاتها.

يقول في قصيدة يتشوق إلى بلنسية ويحن إليها، وكان قد خرج منها صغيرا، حيث نجد الشاعر في وحدة وظلمة بسبب معاناته نحو المكان الذي عاش فيه وولد في أحضانه وغادره في سن مبكر، حين يقول في مستهل القصيدة واصفا حالته وحنينه إلى الأحباب والمكان:

خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا وما لرؤوس الركب قد رنحت سكرا

هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبا أم القوم أجروا من بلنسية ذكرا[1]

هذان البيتان اللذان استفتح بهما الشاعر قصيدته يحملان في طياتهما لحظات الشوق والاشتياق والوحدة والأسى الشديد، والذي عبر عن علاقة بين العنوان والاستهلال الشعري من القصيدة، فالشاعر يود البوح والقول من خلال هذه العبارات والكلمات أن الإنسان لحظة تعرضه للرحيل وترك موطنه فإنه يؤدي به إلى الشوق والحنين إلى الأصحاب والأصدقاء، كما هو موضح في البيت الأول الذي استهل به الشاعر قصيدته بقوله "خليلي" والخليل هو الصاحب والصديق الذي يكون بجانبك وقت الشدة والحاجة ووقت الفرح، وكأنه يتذكر الأصدقاء الذين كان يشاركهم هذه اللحظات، والحياة التي كان يعيشها في بلنسية والتي تعد الموطن والهوية والحب والوفاء، وحياة الصبا التي عاشها وترعرع في أحضان هذا الموطن العزيز الذي تفوح منه رائحة طيبة كرائحة الانتماء والانتساب إليه. نلحظ علاقة جلية بين الشوق والحنين إلى بلنسية وهو عنوان القصيدة وبين العبارات والكلمات التي تضمنها البيت الأول والثاني الذي استهل بهما الشاعر قصيدته الشعرية.

[1] المصدر السابق، ص 67.

وفيما يلي أنموذج ثالث يوضح أكثر مدى العلاقة بين العنوان والاستهلال الشعري في شعر الرصافي وذلك من خلال قصيدته "وصف تفاحة":

تفاحة أهديت إليه حمراء في لون وجنتيه

هم بتقبيلها فزارت فاه على رغم مقلتيه[1]

يأخذ العنوان في هذه القصيدة الشعرية لفظة نفسها حددت أن تكون عنوان القصيدة وذلك حينما تكررت لفظة "تفاحة" التي وظفها الشاعر كعنوان للقصيدة في بداية النص الشعري والموضح من خلال البيت الأول في قوله:

تفاحة أهديت إليه حمراء في لون وجنتيه[2]

فالعلاقة واضحة وبينة منذ القراءة الأولى للعنوان، فكأنما الشاعر حين كتب قصيدته وجاء اختياره للعنوان، أخذ أول لفظة في الاستهلال "تفاحة" واقترحها تسمية أو صيغة عنوانية له، وقد كانت الجمالية متجلية أكثر في ذلك التكرار اللفظي بين العنوان والاستهلال بلفظة "تفاحة" ثم يقول في البيت الثاني من القصيدة:

هم بتقبيلها فزارت فاه على رغم مقلتيه[3]

فهذا البيت متعلق كذلك بالأول من خلال لفظة "هم بتقبيلها" وكأنما يقصد القول أسرع بتقبيل هذه التفاحة التي أهديت إليه، فالهاء عائدة على تفاحة، وكأن هذه الدلالة الجمالية التي قام برسمها الشاعر، والذي أبرز من خلالها مدى العلاقة الوثيقة والرابطة بين العنوان والنص الشعري، وذلك بصدد تكوين ميولات ورغبات اتجاه الشاعر سواء كان ذلك من الناحية النفسية العاطفية أو من الناحية الموضوعية، التي يرمز إليها من خلال المتن القوي بين العنوان والاستهلال للبداية الشعرية.

وهكذا كان العنوان علامة دلالية تعلو الاستفتاح وترتبط بموضوعه ارتباطا مباشرا، وكأن الشاعر يود أن يقول بأن هذه التفاحة التي أهديت إليه والتي كان لونها أحمرا كلون

---

[1] المصدر السابق ، ص 132.

[2] الرصافي البلنسي ، ص،132.

[3] المصدر نفسه ، ص، 132.

وجنتيه أي خديه إلى أن جذبته وأسرع بتقبيلها، إذ أدى ذلك إلى اقترابها أكثر من فمه، فهذه العبارات هي أوصاف التفاحة التي حملها عنوان القصيدة.

نستنتج من خلال هذا أن هناك علاقة متباينة بين العنوان وبين النص الشعري، مما يوحي بجمالية بارعة، وكذلك إبداعية من قبل الشاعر، ونلمس ذلك من خلال الألفاظ والعبارات التي تتمركز على مستوى الجمل الافتتاحية لنص القصيدة الشعرية.

ويقول في قصيدته "رثاء يوسف" حيث نجد الشاعر في ألم وخوف من الفراق الذي يعاني منه حين يقول عند مقتل إنسان يدعى يوسف في مستهل قصيدته واصفا حالته النفسية والشعورية:

يا وردة جادت بها يد متحفي فهمى لها دمعي وهاج تأسفي

حمراء عاطرة النسيم كأنها من خد مقتبل الشبيبة مترف[1]

فالشاعر يرثي يوسف على موته، فيعبر بجمالية ويكلمه كلام المشتاق الحزين، ويصفه وصف المحب كما هو موضح في البيت الأول من القصيدة، ذلك بتصوير شعري يؤول إلى التعبير العاطفي والشعوري وبحس مرهف.

وعليه يتضح لنا من تلك الأسطر التي سبق ذكرها أن الشاعر شبه يوسف بالوردة، ففي البيت الأول من القصيدة يذكر بقوله "يا وردة" فبدلا من أن يذكر "يا يوسف" ذكر "يا وردة"، فقد شبهه بالوردة التي لها لون ورائحة وجمال، وعبير تتميز به. وتتصف من خلاله وكأن يوسف كالوردة التي تزين المتحف ولكن بفقدانه وموته وهو في عمر الزهور وريعان الشباب فأدى إلى هيجان الدموع وتدفقها وشعوره وإحساسه بالأسف والحسرة.

كما يأخذ العنوان في هذه القصيدة –رثاء يوسف– علاقة قوية مع استهلال القصيدة في حد ذاتها فالمعني هو يوسف وهو صاحب الكلام، نلحظ كذلك أن كل عبارة من هذه القصيدة إلا ولها علاقة تربطها وتجمعها بعنوان القصيدة والذي يحتوي على معنى ودلالة وعلاقة تربطه بالمعنى المقصود، فالشاعر بصدد التعبير عن حالته الشعورية والعاطفية

[1] المصدر السابق، ص 109.

اتجاه يوسف الذي يفتقده ويشعر من ناحيته بالضياع والنقص وعدم الكمال وشعوره بالألم والحزن جراء موته.

2)المبحث الثاني: الاستهلال الشعري ومتن القصيدة

إن الدخول والغوص في ثنايا أجزاء القصيدة الشعرية ومعرفة أساسياتها ومعارفها وعلومها التي تتميز بها عن باقي ومعظم القصائد الأخرى، يتذوق بنا المرور ومعرفة العناصر الأولية التي جاءت في النص الشعري، والمتمثلة في العنوان الذي تصدر القصيدة الشعرية وهو العنصر الأساسي والمهم، ثم يأتي الاستهلال وهو ثاني عنصر بعد العنوان ويليها النص وبذلك تبقى الخاتمة هي آخر عنصر يختم به النص الشعري.

وبذلك لا يمكن غض النظر بالنسبة للعناصر الأولية التي جاءت في القصيدة والقفز إلى متنها ومحتواها والذي يمثل مركزها وجوهرها المشحون بجملة من الألفاظ والجمل والعبارات، والذي يحتوي على المعاني. وكذا الجمل المعبرة عن غايات وأهداف يسعى الشاعر إلى تعريف المتلقي والقارئ وتحقيقها.

كما نعلم بأنه لا يكون هذا إلا عن طريق المرور على عتبة العنوان والاستهلال، فكلاهما يعتبر عنصر أساسي ونقطة مهمة لدخول القارئ إلى جو القصيدة الشعرية ومحاولة تذوقها وفهمها وتحليلها فهي: « **نصوص تسهم على نحو حاسم في إحضار النص إلى العالم، ومنحه إمكانية التلقي والقراءة، بعد تجسيده هوية واختلافا إلى متنه، عتبات نحوية تنتظر قارئا يراود النص، فهذا المحيط النصي هائج بنصوصه، يتحين قارئا، ليقذفه إلى أعماق النص**».[1]

أي إن الدخول إلى المتن ومحتوى ومضمون القصيدة يتطلب قارئا متميزا وذكيا قادرا على التحليل والغوص في أعماق النص، وذلك من خلال معانيه وألفاظه التي استخدمها الكاتب، وكذلك حتى يتمكن من قراءة النص بشكل يمكنه من تجسيد ومعرفة الاختلافات والعتبات النحوية واللغوية التي يتميز بها، وكذلك فك شفراته وشرح رموزه وخفاياه التي

[1] خالد حسين حسين، **شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل**، دار التكوين، دمشق، ط1، 2008م، ص 111.

يقوم عليها، إلا أن هذا يتطلب المرور أولا بعتبة العنوان التي تعد الركن الأساس والأولي للنص الشعري، ثم يليه عتبة الاستهلال وهي ثاني ركن والذي يتوافق كلاهما من خلال الدلالات والألفاظ وانسجامها مع بعضها البعض.

ويقول ياسين نصير في هذا الصدد: « **ولم يقف الأمر عند مطالع القصائد، وإنما تجاوز التغيير إلى داخل بنية القصيدة ذاتها، فبعد ما كان بيت القصيدة الجاهلية موزعا إلى مقطعات كل واحدة لها موضوع خاص، ولكل مقطع استهلاله الجزئي الصغير، أصبحت القصيدة أقرب إلى الوحدة الموضوعية، التي تشد أوصالها وتلملم شتاتها، فما كان من الاستهلالات الصغيرة إلا أن اختفت أو التعمق في موضوع كلي واحد**».[1]

أي إن القصائد الشعرية القديمة كان كل بيت من أبياتها مستقل بذاته وكان له استهلاله الذي يميزه عن استهلال البيت الذي بعده كذلك البيت الذي قبله، إلى أن تغيرت النصوص الشعرية وأصبح كل نص شعري مستقل بذاته يحكمه عنوان واحد واستهلال يلتحم فيه جميع أجزاء النص، وذلك من ناحية موضوع يقوم عليه بعيدا عن التغير والانفراد وانفصال الأبيات عن بعضها البعض كما كانت عليه. فمتن القصيدة قام بالكشف على الغموض الذي يحمله الشاعر وذلك من ناحية استهلاله الشعري، مما يؤدي إلى شد انتباه القارئ ودفعه لاستكمال القراءة لمتن القصيدة وإيقاع القارئ في ثنايا النص الشعري.

ولو أخذنا قصيدة من قصائد الرصافي التي أعطت الانسجام الفني للقصيدة حظا من إبداعه الفني ونظمه الشعري. الذي يقول في قصيدته "تهنئة بمولود":

سراء شب بها الزمان الأشيب وسماء مجد زيد فيها كوكب
وعلو منزلة تشاد بأزهر كالنجم إلا أنه لا يغرب
يأتي له خلق الوليد إذا أهفا كرم المراضع والنجار الطيب
ولدت بمولده المكارم والندى وتأهب النادي له والموكب
بشراك بالطفل الذي هو عندنا شبل وفي المعنى هزبر أعلب[2]

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، ص 68.

[2] الرصافي البلنسي، **الديوان**، ص 39- 40.

في هذه القصيدة تتبين لنا براعة الاستهلال الذي استفتح به الشاعر قصيدته حيث بدأها بلفظة سراء ونعمة المولود والشباب، وكذلك بالمجد والزمن وكذلك بمظاهر وقدرته في الكون المتمثلة في "الزمان، سماء، كوكب، النجم" فهذا المقطع يكشف عن جمالية رائعة ومشوقة لهذه النعمة والبركة المتمثلة في المولود والمعبر عن بداية حياة وزمن جديد، فبمجيئه تبتهج الحياة ويشعر الإنسان بالراحة والفرح.

ثم يدخل الشاعر إلى متن القصيدة ويبين أن ولادة هذا المولود وعده من المكارم وكرم مراضعه وطيب أصله، كما أن هذا المولود تبشير حيث شبهه بالشبل، وكأن الشاعر يبتهج ابتهاجا قويا لاستقبال هذا المولود الجميل وما يبعثه من فرحة وسرور وكرم، ومجد وعزة وكأن من خلاله تعلو المنزلة وضوؤه لا يغرب ولا يختفي عن الأرجاء.

وكأن هذه المواصفات التي ألقاها الشاعر على هذا المولود ووصفه بها توحي بالحب والعشق وكل ما تشعر به الروح وتحس بخلجات الذات، فالشاعر يصف هذا الطفل بكل فرح وسرور وبهجة تغمر وتنشد في داخله السرور والطمأنينة والبسمة، حتى أنه شبهه بالكوكب والنجم والشبل فالشاعر بصدد هذا المولود يمحي هموم الدنيا وما جاء فيها من مساوئ وقساوة وخوف وحزن تتألم منه النفس ويعيق الحياة. كل هذه العبارات والكلمات في متن القصيدة تواصل استهلالها الذي حمل انسجاما وترابطا على مستوى متن القصيدة وبنائها.

ويسترسل الشاعر بحزن شديد يصف ويتأسف ويذكر الحزن والبكاء والدموع والقبر ليشدنا إلى متن القصيدة بكل حنان وأسى ينبعث من الشاعر من خلال قصيدته "يرى من اسمه يوسف" والذي يقول فيها:

حيا وحياة سرمد وتحية على العلق المطول من كثب الشعب

تساقط مرفض الرشاشة فاغتدت به ساحة الدنيا مضمخة الترب

ومن أسف الدنيا بكائي ليوسف وما لثراه في دموعي من شرب[1]

فينبعث صوت حزين من الشاعر دالا على اشتداد الأسى والحزن والوحدة والاشتياق لموت يوسف، فمتن هذه القصيدة يحمل إجابات عن سبب اشتداد حزن الشاعر من طرف فقدانه ليوسف وأنه يتأسف لموته وللدنيا ويصف انهمار دموعه على ثرى يوسف، وشدة فقدانه، هذا المقطع الذي يحمل في طياته اللوعة والأسى والألم الشديد واليأس من الحياة بسبب الأحزان والفقدان الذي حل بالشاعر، وما يزيده وجعة لموت يوسف وابتعاده عنه، ويواصل الشاعر وصف معاناته مع اشتداد الحزن من استهلال القصيدة إلى متنها، وذلك ما يحقق الوحدة الموضوعية للقصيدة وهي من السمات الجمالية التي تتمتع بها القصيدة الشعرية.

3)المبحث الثالث: الاستهلال الشعري والخاتمة النصية

تتضح أهمية العنوان، وذلك من خلال كونه عنصرا مهما من عناصر النص، بحيث أن للعنوان جاذبية وجمالية إبداعية وفنية يتميز بها عن باقي الأسطر والأبيات التي تليه، كما يتبين من خلال تعدد القراءات لدى القراء المختلفة عن بعضها البعض مصحوبة بمجموعة من المشاعر والأحاسيس والعواطف، وهذا ما يسهم في عملية القراءة ويزيد من جماليتها، إلا أن الخاتمة النصية هي عبارة عن تقديم إجابات واستنتاجات على مستوى النص الشعري، وخلاصة وحلول كافية لما طرحه الشاعر من استفسارات وحيرة ودهشة وهي المخرج النهائي الذي حمله الشاعر على مستوى أجزاء القصيدة، ولذا فهي تعد بحسب تعبير القدماء حين اعتبروا أن: «**خاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها**».[2]

فالخاتمة هي ركن أساسي يتخلل النص الشعري ويستحسنه بجمال إبداعي وحسن فني يجذب المتلقي ويشعر به، وذلك من خلال الألفاظ والعبارات والجمل المعبرة

[1] المصدر السابق، ص 42.

[2] عبد الملك أشبهون، **البداية والنهاية في الرواية العربية**، نشر وتوزيع القاهرة،ط1، 2013م، ص 6.

والمحكمة بجل من العواطف والأحاسيس والمشاعر التي تنتاب الشاعر، وكذا الجمل التي تحمل معنى ودلالة في طياتها، كونها أبقى في السمع وكأنها تجذب السامع إلى الاستماع والإصغاء إليها، لجمالها ولتعبيرها المعبر، وألصق بالنفس فإنها تلتصق بالنفس كالجسد والروح لشعورها بالاطمئنان والراحة، وإن حسنت هذه الخواتيم حسن العهد، وإن قبحت قبح العهد، وكل عمل بخاتمته، فإن كان ذلك العمل خاتمته حسنة فهو حسن ، وإن كان خاتمته قبيحة فهو قبيح.

والخاتمة النصية أو كما يسميها، الخاتمة ابن رشيق الانتهاء فإنه يقول عنها: «**وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكما، لا يمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإن كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن الآخر قفلا عليه**».[1]

لقد اعتبر ابن رشيق الخاتمة النصية قاعدة القصيدة؛ أي الأساس التي تعبر عنه، وكذا العنصر المهم الذي يقوم عليه الانتهاء في محاولة جذب الأسماع للإصغاء والانتباه الحسن، بعيدا عن الزيادة أو النقصان أو استحسان لما سيأتي بعده، فوجب أن يكون محكما ومتماسكا بشدة لما فيه –الانتهاء– من جمالية تعبيرية وفنية على مستوى النص الشعري الأدبي. كما يعبر عنها –الخاتمة النصية– أحد الكتاب على لسان سارده قائلا: «**هي صيحة خالصة منطلقة من أعماق صدري فاعذروني إذا ما ختمتها عند هذا الحد، واعذروني إذا ما ادعيت أنهما حقيقة واقعة، وأن خاتمتها أنة تجيش في صدري**».[2]

حيث يتبين من خلال القول الذي سبق ذكره على أن الخاتمة النصية هي عبارة عن وجدان عاطفي حسي وكيان يحرق الشاعر بشدة، وبمشاعر شوق مولعة تستدعي من الشاعر إلى إخراجها، وذلك من خلال كتاباتها على صفحات الأوراق متنشقة عبر ينبوع الحنين والمحبة المشتعلة.

---

[1] ابن رشيق، **العمدة**، ج1، 239.

[2] عبد الملك أشبهون، **البداية والنهاية في الرواية العربية**، ص 243.

وبذلك تبقى الخاتمة النصية عنصرا أساسا في تكوين البنية الإبداعية والجمالية الفنية، اتجاه العمل في تحديد ومعرفة وتذوق النص الشعري.كما يعد الاستهلال الشعري أهم العتبات النصية التي يتميز بها النص الشعري عن بقية النصوص الأخرى، ويختلف عنها كاختلاف عناوينها، وكذلك من أهم عناصر البناء الفني، وهو جزء من البرهان على الشيء: «**لا نذكر الشيء إلا من أجل البرهنة عليه**»[1]. أي أن الاستهلال والبرهان تحكمهما علاقة فيما بينهما فالاستفتاح إذن بدء الكلام، أي نبدأ الكلام وذلك يتم على شكل تعبير من ألفاظ وعبارات متناسقة ومنسجمة لما نقصده ونود البوح به وبعد ذلك نسترسل بقية الكلام المعبر عنه.

كما يشير ابن الأثير إلى أن الاستهلال من بين أهم العناصر الفنية فيقول: «**خص الافتتاح بالاختيار لأنه أول ما يطرق السمع من الكلام، ويجب أن يراعي فيه سهولة اللفظ، وصحة السبك، ووضوح المعنى، وتجنب الحشو، ويجب أن يكون الافتتاح مرتبطا مع الخطبة ببراعة الاستهلال، فإن براعة الاستهلال من أخ أسباب النجاح في الخطبة**»[2].أي إن الاستهلال يتميز بالوضوح والفصاحة، وكذا أن يكون بليغا يتمتع بجاذبية قوية يستقبلها السامع بكل جمالية، ويبلغ مبلغه وغايته في ظل الطريق إلى التحقيق الفعلي للنجاح: «**فالاستهلال إذن يقصد السامع مباشرة، ويحاول إقناعه، والإقناع أول فعل من أفعال الاستهلال الجوهرية**».[3]

وبذلك تكون براعة الاستهلال وحسن الختام من المميزات والأشياء التي ترتسم في النفس وتبهجها بجمالية بعيدا عن المبالغة بل بحسن وجمال افتتاحي وخاتمة مرضية مستوفية الشروط المعبرة عن ما جاء وتمركز من خلال النص الشعري.

فمن الخواتم الشعريةاستهلال قول الشاعر الرصافي البلنسي، في قصيدة يحن فيها إلى بلنسية، يصف فيها الشاعر المدينة التي تربى وقضى فيها حياته:

---

[1] ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، ص 55.

[2] المرجع السابق، ص 57- 58.

[3] المرجع نفسه، ص 55.

خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا وما لرؤوس الركب قد رنحت سكرا

هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبا أم القوم أجروا من بلنسية ذكرا[1]

يبدأ الشاعر قصيدته بالحنين والشوق إلى بلنسية والتي تعد الموطن والهوية التي ينتسب إليها فهو بصدد تذكر أيام الصبا مع الأصدقاء والأحباب، وكيف أن كان لبلنسية طيب الرائحة فهي ذات رائحة عطرة، فهذا يوضح شدة وقوة اشتياق الشاعر لبلده.

لكنه في الخاتمة يعود إلى وصف الليالي والحرمان وشدة صبره والدعوات التي كان يطلبها بسبب بعده وعيشه في مكان آخر بعيد عن بلنسية موطنه العزيز، حيث يقول في الخاتمة:

طويت الليالي طيهن وإنما طوين (به) عني التجلد والصبرا

فلا حرمت سقياه أدمع مزنة ترى منسم النوار أصفر مغبرا

وما دعوتي للمزن عذرا لدعوتي إذا ما جعلت البعد عن قربه عذرا

معاهد قد ولت إذا ما اعتبرتها وجدت الذي يحلو من العيش قد مرا[2]

ختم الشاعر شوقه وحنينه إلى موطنه بلنسية بأنه قد طوى الليالي التي قد تكون لبسا في زيادة حزنه وشوقه الشديد، وتذكره وتفكيره، كما أنه يذكر بأنه طوى صبره وأنه حرم من هذا الموطن الذي كان يمثل له الكرامة والعزة والحب ومدى شدة بكائه وحزنه وسقوط أدمعه، وما له سوى أن يدعو لهذا المكان العزيز والبعيد، وأنه يعتذر لأنه يرى في شدة بعده عن موطنه قربا له، وهذا راجع إلى إحساسه ومشاعره المرهفة تجاه هذا الوطن الحبيب، كما يصف حلاوة العيش وجماليتها وكيف كانت ولكنها تغيرت واختلفت بالبعد والرحيل.

نلحظ انسجاما وتكاملا قويا بين الاستهلال والخاتمة، فالشاعر بصدد وصف الشوق إلى بلنسية والحنان إليها، فالألفاظ والعبارات والكلمات متناسقة ومرتبطة مع بعضها البعض وتحمل نفس الموضوع الذي تم ذكره في المقطع الاستهلالي والمقاطع المختتم بها

[1] الرصافي البلنسي ، الديوان ، ص 67.

[2] المصدر السابق، ص 73.

في نهاية القصيدة، فبالنسبة هي حياة الشاعر وكيانه وروحه التي فقدت ومسكنه ومكان تواجد الأصدقاء والأحباء، وما عليه سوى الصبر والدعوات لهذا المكان العزيز على قلب الشاعر والذي من خلاله يحلو العيش ويطيب، ويبتسم الفاه ويسطو النور.

وفي قصيدة ثانية له "قتل إنسان يدعى يوسف" يتأسف لموته وشدة حزنه ليوسف وأنه كالوردة العطرة وأن للوردة رائحة ولون وشكل وعمر كعمر الشباب إذ يقول:

يا وردة جادت بها يد متحفي فهمي لها دمعي وهاج تأسفي[1]

فالشاعر يخاطب يوسف وكأن يقول يا يوسف فأنت كالوردة التي جادت بها يد متحفي، وهذا من خلال مجموعة من الأحاسيس والمشاعر التي يشعر بها الشاعر جراء هذا الشخص الذي قتل والذي أطلق عليه اسم يوسف، حتى أن عيناه أذرفت الدموع على يوسف.

وفي خاتمة هذا النص الشعري نلحظ انسجاما قويا بين استهلال واستفتاح القصيدة للشاعر الرصافي إذ يقول:

فلثمتها شغفا وقلت لعبرتي هي ما تمج الأرض من دم يوسف[2]

فهذا الختام الذي ختم به الشاعر قصيدته يحمل في طياته علاقة قوية بين الختام والاستهلال الذي استهل به الشاعر قصيدته الشعرية فهو بصدد الحديث عن يوسف ذاكرا حزنه وتأسفه، فيوسف بالنسبة للشاعر هو شخص عزيز وإلا لما كان حزنه قوي وشديد لهذه الدرجة، فقد تأثر بموته وخاصة مقتله فقد أحس بالضعف والفراق لمقتله.

[1] الرصافي البلنسي، **الديوان**، ص 109.

[2] المصدر نفسه، ص 109.

خاتمة

يمكن القول بأن النتائج التي توصلنا إليها في هذه الخاتمة، أنها لا يمكن أن تكون قطعية ونهائية، إلا أنها قد تكون فاتحة وبداية عملية لأفاق معرفية ودراسات أكاديمية جديدة، تحث الباحثين والدارسين على مواصلة البحث في خفايا الاستهلال الشعري وخباياته.

فقد كان هذا البحث الذي حاولت الدراسة سد ثغراته، يهدف إلى تقصي الاستهلال الشعري في شعر الرصافي البلنسي. وبعد الغوص والإبحار في شعره، واستجلاء، ما فيه من جماليات التشكيل من خلال دراسة إحدى عتبات النص الشعري؛ وهي عتبة الاستهلال التي تعد أهم مرحلة في خطاب النص الشعري من حيث دراسته من جهاته المتعددة وزواياه المختلفة، خرجنا بالنتائج الآتية:

- أمّا فيما يخص تحليلنا لنماذج الاستهلال في شعر الرصافي البلنسي، فقد تبين لنا أنه استمدها من الواقع الاجتماعي ومظاهر الحياة اليومية والتجربة الذاتية؛ إذ حرص شاعرنا على العناية باستهلالات قصائده وتحري الجمالية الفنية والإبداعية، من خلال ميله إلى التعبير الموحي والرمزي واتجاهه نحو الغموض والاغتراب.
- كانت موهبة الشاعر الرصافي البلنسي حاضرة في نظمه للاستهلال الشعري بما يحقق له:
- الاستهلال الشعري بمثابة حلقة وصل بين العنوان والنص؛ فهو عبارة عن رموز وإشارات أوليّة، يهدف إلى تبيين الدلالات التي يحملها العنوان في طياته. فالعنوان يعد حل وجواب طرح عن سؤال الذي يمكن فك وحل شفراته عن طريق محتوى النص.
- أما علاقة الاستهلال ومتن القصيدة كلاهما يعد عنصر أساسيا ونقطة مهمة لدخول القارئ إلى جو القصيدة الشعرية ومحاولة تذوقها وفهمها من خلال فك رموزها الإيحائية.

- أما بالنسبة للاستهلال والخاتمة النصية فهذه الأخيرة تعد ركن أساسي يتخلل النص الشعري ويستحسنه بمجموعة من المشاعر والأحاسيس المصحوبة، كما تعد عبارة عن تقديم إجابات واستنتاجات كخلاصة كافية لما طرحه الشاعر من خلال استهلالاته التي استهل بها قصائده الشعرية.

بناء على ما تقدم فإننا قد حاولنا رصد أهم ما تعلق بهذا البحث الذي كان محوره الاستهلال الشعري في شعر الرصافي البلنسي، الشاعر الأندلسي، وكغيره من البحوث والدراسات فإنه يطرح إشكاليات جديدة تتطلب فتح باب جديد للإجابة عنها، من خلال بحوث ودراسات أكاديمية جديدة.

والله المستعان.

ملحق

نـبذة عن حيـاة الرصافي البلنسي:

1. اسمه وكنيته ولقبه:

هـو محمـد بـن غالـب الرصـافي المكنـي بـأبي عبـد الله الـوزير الكاتـب، والشـاعر الأندلسـي، أحد أهم أعـلام الأدب فـي الأنـدلس؛ إذ تميز بحسـه الفنـي الـذي انفرد بـه عن بقيـة شـعراء عصـره، صـاحب العاطفـة الفياضـة، التـي نبعت عن إيمـان مطلق فيمـا يقول، فقد ولد شاعرنا في رصافة بلنسية الأندلسية المعروفة بجمالها الطبيعي، وإليها ينسب فهو رصـافي بلنسـي. إلا أنـه لـم يحـدد المصـادر التـي ترجمـت للرصـافي البلنسـي تحديـدا دقيقـا زمن ولادته، فقد أشار المراكشي في كتابه "المعجب" أن الرصافي حين ألقى قصيدته في حضرة عبد المؤمن خليفة الموحدين في جبل الفتح عند ما عبر إلى الأندلس، لم تكن له عشرون سنة من هذه الإشارة استنتج الدكتور إحسان عباس بأن سنة ولادته قد تكون في حدود سنة (536هـ) وهذا هو أقرب الآراء إلى الصواب لأنه لا يوجد بين أيدينا دليل يوافق أو ينقص هذا الرأي.[1]

2. نشأته:

نشأ الشاعر محمد البلنسي في رصافة بلنسية الأندلسية المعروفة بجمالها الطبيعي فالرصافة قطعة من ضواحي مدينة بلنسبة، حيث حظيت هذه المنطقة باهتمام العديد من الكتـاب والمـؤرخين والأدبـاء الـذين بهـروا بجمالهـا، والتـي تتميـز بالحـدائق الغنـاء والميـاه الجاريـة، والتـي تعـد مـن أفضـل متنزهـات الطبيعـة الأندلسـية والتـي حباهـا الله بجمـال الطبيعة.[2]

---

[1] خالد شكر محمود صالح الفراجي، **شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية–فنية**، رسالة ماجستير آداب في اللغة العربية، إشراف الدكتور عبد الرحمان كريم عذاب اللامي، مجلس كلية التربية، ابن رشد جامعة بغداد، 2003م، ص 12– 13.

[2] هجيرة خليفي عثمان، **الحنين عند شعراء بلنسية**، تقرير بحثي لنيل شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها، إشراف محمد محيي الدين، ملحقة مغنية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013– 2014م، ص6.

ففي هذه البيئة الجميلة ترعرع شاعرنا، فمنذ طفولته تفتحت عيناه برؤية جمال هذه البيئة الساحرة، حيث ترجم جمالها بقصائد رائعة من خلال تذوقه لمواطن جمال منطقة رصافة بلنسية الطبيعة الأندلسية الساحرة. إلا أنه قد غادرها لسبب ما لا يعلمه أحد رفقة والده إلى مكان آخر، ولكنه ظل يتذكر من بلنسية معاهدها الهامة كالرصافة نفسها وجسر معان والبحيرة وسائر المناظر الطبيعية؛ من خلال قوله على الديار كما كان يتمنى الشعراء الجاهلين سابقا، أما فيما يخص حياته الخاصة والاجتماعية فإن المصادر التي ترجمت للرصافي فقد سكتت عنها، ولم تشر إليها لا من قريب ولا من بعيد سوى أنه عاش وحيد ولم يتزوج.[1]

3. شخصيته وأخلاقه:

لقد تحدثت المصادر القديمة كثيرا عن شخصية الرصافي وأخلاقه، لأنه كان شاعر متدينا من ذوي الفضل والكرم والجود في أهل الخير، متواضعا في معاملة الناس، وكان ممن يحسن الصلة والعلاقات بالناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وأعراقهم.[2]

4. هجرته:

إن المكان الذي يهاجر إليه الرصافي هو مدينة (مالقة) حيث اتخذها دارا لإقامته إلى أن توفي بها رحمه الله، لأن سبب هجرته إلى مالقة هو اضطراب لأحوال السياسة في بلنسية والسعي وراء طلب الرزق، ففي مالقة يوجد سوق كبيرة للرفائيين حيث كان والده يستطيع العمل في هذه السوق حتى يتمكن من كسب مال قوت عيشه ويؤمن المأوى لابنه. إلا أنه يبدو بأن البلنسي قد ورث هذه المهنة من أبيه التي جعلها مهنته الأساسية على الرغم من قلة المال المتأت من هذه المهنة، ورفض أن يمدح تكسبا ثم ارتحل بعد ذلك إلى غرناطة ومدح الوالي عبد الملك بن سعيد.[3]

---

[1] خالد شكر محمود صالح الفراجي، **شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية–فنية**، ص 14.

[2] المرجع نفسه، ص 14– 15.

[3] المرجع نفسه، ص 15– 16.

5. وفاته:

لقد حددت المصادر التي ترجمت لشاعرنا على أنه توفي في مالقة في 19 من رمضان سنة (552هـ)، إلا ابن خميس (ت639هـ) فقد ذكر أن وفاته كانت سنة (573هـ) والمرجح أنه الرأي الثاني، فالسبب هو أن الذي ذكر كان في زمنه أقرب إلى الشاعر؛ إذ ترك البلنسي ما يخلد اسمه بأحرف من نور وهي تلك القصائد التي لم يصل إلينا منها إلا جزء وفقد معظمها، وخلقه المتواضع الذي روته لنا المصادر مما أدى ببعض أصدقائه إلى رثائه ببعض الأبيات التي كتبت على قبره.[1]

6. ديوان شعره:

يعد الرصافي البلنسي شاعرا وأديبا من شعراء الأندلس المشهورين، له ديوان ذكرته المصادر القديمة، فقد كان متداولا ومعروفا في أيام ابن الأنبار ومتنافسا فيه، فقد حمل عنه وسمع منه، ومن رواته أبو علي بن كسرى المقالي، وأبو الحسن بن جبير، وأبو عبد الله الحجازي، الذين أذاعوا بين الماس ولكن لم يصل إلينا كاملا فقد مع ما فقد من نفائس التراث الأندلسي، إلا أن إحسان عباس فقد عمل على جمع شعر الرصافي البلنسي من المضان والمسيرة وقد طبعه مرتين الأولى سنة 1960م والتي تضم 59 قصيد ومقطوعة، وأما الطبعة الثانية فقد كانت سنة 1983م وتضم 77 قصيدة ومقطوعة، فهو كان من أفضل وأبرز شعراء الأندلس في القرن 6هـ، كما كان لفقدان ديوانه أثر كبير في إهمال دراسته؛ إذ عاصر البلنسي أدباء وشعراء كثيرين كان من أبرزهم الأديب الكاتب أبو جعفر أحمد بن عطية (553هـ) الذي كان وزيرا لعبد المؤمن، حيث نظم الرصافي في مختلف الأعراض الشعرية المعروفة والمتداولة بين الشعراء كالمدح، والرثاء، الهجاء، الوصف والحنين إلى الديار وغيرها من الأغراض الشعرية.[2]

[1] المرجع السابق، ص 16- 17.

[2] المرجع نفسه ، ص 17- 18.

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** برواية ورش ابن نافع.

أولا: المصادر

01. أرسطو طاليس، **الخطابة**، تح/عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان،(د.ط)، 1979م.

02. امرؤ القيس، **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)، 2004م.

03. بدر شاكر السياب ، الديوان ، مج 02، دار العودة ، بيروت ، (د ط) ،2005م .

04. حسان بن ثابت الأنصاري، **الديوان**، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

05. الرصافي البلنسي، **الديوان**، جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2، 1983م.

06. طرفة ابن العبد، **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط3، 2002م.

07. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ج1، تح/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001م.

08. عنترة ابن شداد، **الديوان**، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت،(د.ط)،2001م.

09. كعب بن زهير، **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1997م.

10. أبو نواس، **الديوان**، دار الراتب الجامعية، لبنان، ط، 2008م.

ثانيا: المراجع:

11.أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2012م.

12.أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

13.حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

14.خالد حسين حسين، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، دار التكوين، دمشق، ط1، 2008م.

15.سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.

16.شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، (د.ب)، ط1، 2005م.

17.الشنفرى عمرو بن مالك،الديوان ،جمعه وحققه وشرحه إميل بديع ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط02 ،1997م.

18.عامر جميل شامي الراشدي، العنوان والاستهلال في مواقف النفري، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012م.

19.عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية،(د.ط)، 2004م.

20.محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر. الإسكندرية، ط1، 2001م.

21.محمد بدري عبد الجليل، براعة الاستهلال في فواتح القائد والسور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،(د.ط)، 2006م.

22.عبد الملك أشبهون، البداية والنهاية في الرواية العربية، نشر وتوزيع، القاهرة، ط1، 2013م.

23.ياسين نصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق،(د ،ط)، 2009م.

أ/ المعاجم والقواميس:

24.إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة "هلل"، دار النشر المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، (د، ط)، (د، ت).

25.ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة "هلل"، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة،(د، ط)،(د، ت).

ب/ المجلات:

26.مجلة عود الند،(د، ب)،(د، ت)، ع68.

ج/ الرسائل الجامعية:

27.البندري معيض عبد الكريم الشيخ الذياني، الاستهلال في شعر غازي مقارنة نسقية تحليلية، رسالة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، إشراف الدكتور ناصر يوسف إبراهيم جابر شبانة، كلية اللغة العربية، فرع الأدب والبلاغة والنقد، جامعة أم القرى، 1433هـ/1434هـ.

28.خالد شكر محمود صالح الفراجي، شعر الرصافي البلنسي دراسة موضوعية فنية، رسالة الماجستير آداب في اللغة العربية، إشراف الدكتور عبد الرحمان كريم عذاب اللامي، مجلس كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2003م.

29.هجيرة خليفي عثمان، الحنين عند شعراء بلنسية، تقرير بحثي لنيل شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها، إشراف محمد محي الدين، ملحقة مغنية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013م/2014م.

د/ المواقع الالكترونية:

30.صبري مسلم، تشكيلات الاستهلال في القصيدة العربية المعاصرة، صحيفة الجمهورية، www.gemeress.com، 2010/05/15م، 09:49.

31. محمد مجد الدخيل، الشعر الإسلامي بين النقاد القدماء و المحدثين ،www.alarabiahconference.org ، 10:10، 2019/07/14م.

.محمود محمد أسد ، تطور مطلع القصيدة العربية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، ملتقى أهل اللغة ، 09:54 - 13/09/2019 www.oudnact.net

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: ماهية الاستهلال	05-27
المبحث الأول: مفهوم الاستهلال	06
المبحث الثاني: الاستهلال الشعري بين القديم والحديث	13
المبحث الثالث: وظيفة الاستهلال	24
الفصل الثاني: تجليات الاستهلال في ديوان الرصافي البنسي دراسة إجرائية	28-44
المبحث الأول: الاستهلال الشعري والعنوان	29
المبحث الثاني: الاستهلال الشعري ومتن القصيدة	36
المبحث الثالث: الاستهلال الشعري والخاتمة النصية	40
خاتمة	45
ملحق	48
قائمة المصادر والمراجع	52
فهرس الموضوعات	56

الملخص:

كشفت هذه الدراسة على أهم العتبات النصية في القصيدة العربية، من خلال شعر الرصافي البلنسي وهي عتبة الاستهلال.

و قد تم تقسيم البحث بعد التقديم له إلى فصيلتين و خاتمة.

فقد احتضن الفصل الأول و كان كجانب نظري، و قفة على مفهوم عتبة الاستهلال لغة و اصطلاحا و الاستهلال الشعري بين القديم و الحديث، و وظيفة هذه العتبة الاستهلال.

ليكون الجانب التطبيقي من الدراسة و التي تمر وقفتها اختيار نماذج للاستهلال، من خلال القصائد الشعرية للرصافي البلنسي و علاقته بالعتبات النصية الأخرى (العنوان و متن القصيدة و الخاتمة النصية). ومحاولة تقصي الجمالية في هذه الاستهلالات.

وختاما لهذه الدراسة تم عرض أهم النتائج والمحصلات التي أسهمت في هذه الدراسة.

Abstract :

This study revealed the most important problems in the text of the Arabic poem, through the hair Alrassafi Balansi and is the beginnings of the threshold.

The research was divided into two groups after the introduction.

It embraced the first chapter and was a theoretical aspect, and a pause on the concept of the threshold of initiation language and terminology and the initiation of poetry between the old and modern, and the function of this threshold initiation.

To be the practical side of the study, which is going through the best models for the beginning, through the poetry poems of Al-Rassafi Al-Balansi and its relation to other textual thresholds (title, text of the poem and textual conclusion). And try to investigate aesthetics in these terms.

In conclusion, the main findings and outcomes that contributed to this study were presented